

الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين

تأليف

الدكتور فاء محمد علي

أستاذ التاريخ الاسلامي المساعد
كلية الآداب - جامعة أسيوط

المكتب الجامعي الحديث
محطة الرمل / الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

« وكان فضل الله عليك عظيما »

صدق الله العظيم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

« بين يدي الكتاب »

إذا كان عصر نفوذ البويهيين وسيطرتهم على الخلافة العباسية يعتبر امتداداً لعصر تسلط الأتراك في عصرهم الأول على الخلافة ، فإن هذا الكتاب امتداد لكتابي « الخلافة العباسية في العصر التركي الأول » وهما بهذا يمثلان منهلاً خصباً لمن يريد أن يقف على حال الخلافة العباسية في هذين العصرين .

والحق أن الكتابة عن عهد البويهيين لم تلق حظها الكافي من كتابات المؤرخين شأن غيرها من موضوعات العصر العباسي الثاني باعتباره عصر الضعف الذي لا يحفل بمثل تلك الأسماء الكبيرة التي انتظمها العصر العباسي الأول كالمنصور والرشيد والمأمون .

والحق كذلك أن الكتابة في تاريخ عهد البويهيين شاقة ومجهددة لتشعب أحداثها وتعدد ملوكها وتداخل حكمهم ، وقد حاولت ما وسعني الجهد أن أقدم دراسة متوازنة لهذا العصر تجمع أحداثه تحت فصول متوازنة رغم ما كان يشكله موضوع كل فصل من خطر الازدواجية حيث أن الأحداث كلها متداخلة ، ولكنني أعتقد أنني تجنبت ذلك إلى أقصى الحدود بمزيد من الجهد والصبر .

وقد قسمت هذا البحث إلى ستة فصول :

الفصل الأول : « بنو بويه من بلاد الديلم إلى بلاد العراق » تتبعت فيه نشأة بنو بويه من بلاد الديلم في الجنوب الغربي لبحر قزوين إلى سيطرتهم على معظم بلاد فارس ثم تقدمهم إلى العراق حيث تمكنوا من دخوله في عهد الخليفة المستكفي وهو فصل كان لابد منه قبل تفصيل الدور البويهي في خلافة العباسيين .

الفصل الثاني : « سيطرة بنو بويه على الخلفاء العباسيين » الذي بينت فيه أن البويهيين تمكنوا من السيطرة على الخلفاء العباسيين في

عهدهم سيطرة متجبرة وإن الخلفاء نالهم من اللهوان في هذا العصر مثل ما نال غيرهم في عصر نفوذ الأتراك السابق لهذا العهد ، وأن البويهيين ملكوا الأمر كله بحيث لم يعد للخلفاء إلا القليل والذي لم يكن يعدو أن يكون مظهرية جوفاء لا تدل على شيء من السلطة ، وقد تشبه البويهيين بالخلفاء فضربت على أبوابهم النوب وعزفت البوقات ، وتلقبوا بأجل الألقاب ، وصاهروا الخلفاء على أمل أن تكون الخلافة في ولد لهم فيه نصب .

الفصل الثالث : « محاولة السيطرة المذهبية على الدولة » وبينت فيه كيف حاول البويهيين تسييد المذهب الشيعي مع أنهم يعملون في ظل خليفة سني ، وكيف ناصرُوا الشيعة على السنة وفرضوا الاحتفال بأعيادهم ومناسباتهم مما تسبب في فتن شيعية سنية انتظمت عهدهم كله ، وكيف فكروا في جعل ولائهم للفاطميين وتحويل الخلافة اليهم في عهد معز الدولة ، وكيف انتشرت الدعوة الفاطمية في عهدهم في بلاد العراق وموقف الخلافة من ذلك .

الفصل الرابع : « السيطرة على الوزارة » وفي هذا المجال بينت كيف سيطر البويهيون على هذا المنصب الذي يعتبر المظهر الثاني للسلطة في البلاد وكيف كان وزراء البويهيين يحاولون إرضاءهم لنفعهم ونفع أنفسهم ، كما بينت كيف كانت هيئة الوزراء لا قيمة لها لدى البويهيين وكيف كانت نهاية هؤلاء الوزراء وكيف كان البويهيون يتصرفون معهم حتى بعد موتهم .

الفصل الخامس : « بلاد الخلافة مسرح للأحداث الدلمية » والحق أن بلاد الخلافة تحولت في عهدهم إلى ما يشبه ساحات القتال الدائمة بسبب التنافس بين الأخوة الأعداء من بنى بويه وبسبب الفتن بين السنة والشيعة واختلاف طائفتي عسكرهم عتصريا ومذهبيا ، وقد بين هذا الفصل مدى ما حاق بأرض الخلافة من جراء ذلك .

الفصل السادس : « الحياة العلمية في عصر بنى بويه » ، وقد أردت أن أختتم الكتاب بتلك الصورة المشرقة للحياة العلمية في هذا العصر التي

كانت تخالف الصور القاتمة التى عرضها البحث لهذه الدولة ، حيث ازدهرت العلوم والآداب فى هذا العصر ازدهارا قل أن يكون له مثيل فى عصر آخر .

وبعد ، فالكتاب فى مجمله يكون صورة متكاملة للعهد البويهى رجعت فيها الى المصادر الاصلية والمعاصرة بالاضافة الى المراجع الحديثة .
وأرجو من الله سبحانه أن أكون قدمت دراسة جادة تضاف الى الدراسات فى تاريخ العباسيين ، وأن تكون النتائج اتفقت مع ما بذل من الوقت والجهد والصبر .

والله سبحانه الموفق وعليه قصد السبيل ٩

دكتور وفاء محمد على
القاهرة ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م

الفصل الأول

بنو بويه من بلاد الديلم الى العراق

الفصل الأول

« بنو بويه^(١) من بلاد الديلم إلى العراق »

حدد الاصطخري بلاد الديلم بقوله : « وأما الديلم وما يتصل بها : فمن ناحية الجنوب قزوين والطرم وشيء من أذربيجان وبعض الري ، وما يتصل بها من جهة المشرق بقية الري وطبرستان ، ويتصل بها من جهة الشمال بحر الخزر ، ومن جهة المغرب شيء من أذربيجان وبلدان المران ، وقد ضمنا إلى ذلك ما يتصل بها من جبال الرويخ وفادوسبان وجبال قاران وجرجان »^(٢) .

ثم يقول : « ... أما الديلم فانها سهل وجبل ، وأما السهل فهم الجبل ، وهم مفترشون على شط البحر تحت جبال الديلم ، وأما الجبل فللديلم المحض ، وهي جبال منيعة ، والمكان الذي يقيم به الملك يسمى روذبار ، وبه يقيم آل جستان ، ورياسة الديلم فيهم »^(٣) .

ويحدد ابن الوردي جبال الديلم بقوله : « وهي ثلاثة جبال منيعة يتحصن أهلوها بها ، أحدها يسمى تردوسيان والثاني يسمى المرونج والثالث يسمى واران ، والجبل الذي فيه الملك يسمى الكروم وبه رياسة الديلم ومقام آل خسان وبهذا الجبل والأولين أمم عظيمة من الديلم وهي كثيرة الغياض والشجر والمطر وهي في غاية الخصب ولها قرى وشعاب كثيرة »^(٤) .

-
- (١) انظر : Ency - de L'Isle (Art. Buyides) t. 1, P. 827 - 82 .
(٢) الاصطخري : المسالك والممالك ص ١٢١ ، ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ص ٣١٨ ، المقرئ : السلوك ط ١ ص ٤٢ حاشية (١) .
(٣) الاصطخري : نفس المصدر ص ١٢١ ، وابن حوقل : نفس المصدر ص ٣٢٠ .
(٤) ابن الوردي : فريدة العجائب ص ٤٨ ، ابن حوقل : نفس المصدر ص ٣٢٠ .

على أن بلاد الديلم في أيام سلطان البويهيين كانت تشمل جيلان وطبرستان وجرجان وقومس ، ثم انفصلت هذه البلاد عن الديلم واستقلت ، وأصبحت المنطقة الجبلية هي الديلم ، وصار السهل وهو المنطقة الساحلية على بحر الخزر جيلان ، أي رجع الأمر إلى ما قبل سلطان البويهيين (٥) .

وقد حدد الأستاذ الخضري بلاد الديلم بأنها البلاد الواقعة في الجنوب الغربي من شاطئ بحر الخزر ، سهلها للجيل وجبالها للديلم ، وقصبتها روزبار ، وتعرف أيضا ببلاد جيلان (٦) ، ويعرفها جورجى زيدان بأنها وراء خراسان (٧) .

ويقول ابن حوقل في الديلم : « وزعم أبو بكر محمد بن دريد أن الديلم طائفة من بنى ضبة » ثم يصفهم فيقول : « وهم أهل زرع وموائم وليس عندهم من الدواب ما يستقلون بها . ولسانهم منفرد عن الفارسية والرائية والأرمنية ، وفي بعض الجبل فئة وطائفة تخالف لسان الجيل والديلم . والغالب على خلقهم النحافة وخفة الشعر والعجلة والطيش والبدار وقلة المبالاة والاكتراث . وكان الديلم أكثر أيام الاسلام كفارا يسمى رقيقهم إلى أيام الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن ابن على بن أبى طالب عليهم السلام ، فتوسطهم العلوية وأسلم بعضهم وفيهم إلى يومنا هذا في الجبال كفار » (٨) .

وقد دخلت هذه البلاد في حوزة المسلمين إبان حركة الفتوحات الكبرى في عهد الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب ، ولكنها ظلت على وثنياتها . وكان الديلم يمتازون بالشجاعة التي أكسبتها إياهم طبيعة بلادهم الجبلية الوعرة . وتجاور بلادهم بلاد طبرستان التي دان

(٥) الاصطخري : المصدر السابق ص ١٢١ (هامش ١) .

(٦) . الخضري : محاضرات تاريخ الامم الاسلامية ج ٢ ص ٣٧١ .

(٧) جورجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى ج ٢ ص ٤٦٩ .

(٨) ابن حوقل : صورة الارض ص ٣٢٠ .

أغلب سكانها بالاسلام ، وكان بينهما رغم الخلاف في العقيدة سلم وموادعة^(٩) .

وبعد أن خمدت ثورة محمد النفس الزكية في الحجاز بقتله في سنة ١٤٥هـ/٧٦٤م ، والتي نجا من القتل فيها أخواه ادريس بن عبد الله الذي فر الى بلاد المغرب ، ويحيى بن عبد الله الذي فر الى بلاد الديلم ، أدى لجوء يحيى بن عبد الله الى هذه البلاد الى تكوين رأى عام شيعى فيها يساند يحيى ، فاشتدت شوكته وكثرت جموعه وأتاه الناس من الأمصار^(١٠) ، ولكن الرشيد تمكن من خداع يحيى بعهد مكتوب استقدمه به الى بغداد ، فأنتهى بذلك دوره .

وفي عهد الخليفة العباسى المستعين بالله (٢٤٨ - ٢٥١ هـ) ، كان ظهور الحسن بن زيد بطبرستان ، وصاحب ظهور الحسن بن زيد تطور جديد فى علاقة الديلم بالدولة والدين ، وتفصيل ذلك أن محمد بن عبد الله ابن طاهر المستعين بالله ظفر بيحيى بن عمر^(١١) الذى خرج يدعو للرضا من آل محمد وسبب للخلافة العباسية قلقا شديدا ، حتى أنه تمكن من دخول الكوفة والاستيلاء عليها وعلى بيت مالها^(١٢) ؛ فكافأ المستعين محمد بن عبد الله بن طاهر بقطائع كانت احداها قرب ثغرى طبرستان من نواحى الديلم وهما كلار وسالوس ، وعندما أراد محمد بن عبد الله أن يتسلم تلك الاقطاعات ويتسلم مرافقها التابعة لها ، رفض أهل المنطقة تسليمها وذلك بسبب سوء سيرة سليمان بن عبد الله بن طاهر عامل طبرستان وسوء سيرة أولاده .

وربط أهل هذه المنطقة مقاومتهم بالانضمام الى الحسن بن زيد

(٩) الخضرى : محاضرات تاريخ ١ م الاسلامية ج ٢ ص ٣٧١ .

(١٠) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٩٠ .

(١١) هو يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبى طالب المكنى بابى الحسين . الكامل ج ٥ ص ٣١٦ .

(١٢) ابن الأثير : الكامل ج ٥ ص ٣١٥ .

الطوى الذى كان ثائرا بالرى ، وطلبوا من أهل الديلم الانضمام اليهم وتأييدهم فى موقفهم ، فانضموا اليهم وبايعوا الحسن بن زيد ، وبذلك صارت « كلمة الديلم وأهل كلار وسالوس والرويان على بيعته » (١٣) .

وكان ذلك يعنى بالنسبة للديلم فى هذه المرحلة الارتباط بحركة الحسن بن زيد الثورية والتأثر بالعواطف الشيعية (١٤) . وكان تأثير هذه الحركة أبعد فى نشر الاسلام بصبغته الشيعية فى هذه المنطقة من الحركة الأولى (١٥) أى حركة يحيى بن عبد الله .

وقد ظل الحسن بن زيد حتى مات فى سنة ٢٧١هـ / ٨٨٤م وتلاه أخوه محمد بن زيد الذى اضطربت الأمور فى عهده حتى توفى سنة ٢٨٧هـ / ٩٠٠م (١٦) .

ودخل بلاد الديلم بعد وفاة الحسن بن زيد وأخيه داعية شيعى آخر هو الحسين بن على الملقب بالأطروش (١٧) ، الذى أسلم فى عهده كثير منهم ، ولم يبق الا القليل (١٨) ، وقد عمر الحسن بن على الأطروش بلاد الديلم بيناء المساجد ، كما تمكن من تأمين الديلم ضد أعدائهم المجاورين ، وقد هدم حصن منيعا بمدينة سالوس بناء ملوك فارس وكان يسكن فيه المرايطون بازاء الديلم (١٩) .

(١٣) ابن الأثير نفس المصدر ج ٥ ص ٣١٦ ، انظر كتابنا : صفحات من تاريخ العباسيين ص ١٣٨ .

(١٤) Shaban, Islamic history Vol 2, P. 160

(١٥) محمد حطيمى أحمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى ص ١٨٠ .

(١٦) الخضرى : محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية ج ٢ ص ٣٧٢ ، وانظر كتابنا : صفحات من تاريخ العباسيين : موضوع « دولة العلوميين فى طرستان » .

(١٧) المسعودى : مروج الذهب ج ٤ ص ٣٧٣ ، المقرئى : السلوك ج ١ ق ١ ص ٤٣ ، صفحات من تاريخ العباسيين ص ١٥٣ .

(١٨) Browne, Literary Hist. of Persia. Vol 1 P. 207

(١٩) المقرئى : السلوك ط ١ ص ٤٣ ، محمد حطيمى أحمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى ص ١٨٠ .

وأقام الحسن الأطروش بلاد الديلم نحواً من أربع عشرة سنة وتوفي في سنة ٣٠٤هـ/٩١٦م^(٢٠) في التاسعة والسبعين من عمره ، وكان يعرف بالناصر العلوي والناصر للحق^(٢١) .

ويتضح من هذا أن الاسلام غزا بلاد الديلم غزواً يمكن وصفه بأنه كان غزواً سلمياً عن طريق الدعوة الزيدية التي ربطت الظروف بلاد الديلم ببعض أئمتها ، ومن ثم فقد كان الديلمة مسلمين على المذهب الشيعي .

والحق أن الزيدية بجانب تأثيرهم الديني في أهل بلاد الديلم أثروا فيهم كذلك اجتماعياً ، حيث نجحوا في القضاء على النظام الاقطاعي الذي كان سائداً في بلاد الديلم بمعنى القضاء على النظام الأرستقراطي القديم الذي يركز السلطة في يد رؤساء العشائر والقبائل ، كذلك عملوا على إزالة الفوارق الطبقية في المجتمع الديلمي والأخذ بيد الطبقات الفقيرة .

ولا ينفي أثر الزيدية في بلاد الديلم أن للديلمة أثرهم كذلك في الزيدية الذين تأثروا بعبادات وتقاليد الديلم .

هذا ، وقد ظلت طبرستان بيد الزيدية حتى سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م حيث كانت الأوضاع قد تغيرت نتيجة لما ساد من نزاع وانقسام في صفوف العلويين بعد وفاة الحسن بن علي الأطروش ، وما ساد الساحة من قتال برز فيه أسماء بعض القواد الديلمة مثل ليلى بن النعمان وما كان ابن كللى ، وأسفار بن شيرويه ، ومرداويج بن زيلر صارت تعمل لصالحها الخاضعين مستفيدين من حالة الاضطراب آنذاك .

(٢٠) النويري : نهاية الأرب ج ٢٥ ص ٩٦ ، صفحات من تاريخ العباسيين ص ١٥٦ .

(٢١) المقرئ : السلوك ط ١ ص ٤٣ ابن الوردي : تنمة المختصر ج ٢ ص ٢٥٥ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ١٠ ص ١٤٩ .

بداية البويهيين :

وسوف يكون اتصال بنى بويه أول ما يكون بماكان بن كالى ، بدءوا جنودا فى جيشه ثم قادة^(٢٢) ، ومن هذا يتضح أنهم نشأوا نشأة شيعية ثورية^(٢٣) ، ويعنى ذلك اعتقادهم بأحقية أولاد على فى الخلافة ، وبأن بنى العباس قوم خادعون لبنى على غاصبون لحقهم .

على أن مرداويج^(٢٤) بن زيار تمكن فى سنة ٣١٤ هـ من فتح اقليم طبرستان وأسس فيه الدولة الزيارية التى ما لبث نفوذها أن امتد من غربى ايران حتى الأهواز^(٢٥) ، ثم استدعى مرداويج فى سنة ٣٢٠ هـ أخاه وشمكير من بلاد جيلان ليتقوى به .

وكان ممن استفاد من هذا المناخ من الديلم : البويهيون الذى جهدوا للحصول على أمجاد شخصية لهم ، سالكين فى سبيل ذلك كل الطرق من مكر ودهاء وانتقال من قائد الى غيره يرون صالحهم لديه .

وبنو بويه هم أولاد أبى شجاع فناخسرو وكانوا من عامة الناس فى بلاد الديلم وكانوا من فقرائهم^(٢٦) ، وكان بويه صياد سمك ، وكان معز الدولة أبو الحسن أحمد بن بويه بعد أن ملك البلاد وتولى امرة الأمراء فى بغداد يتحدث بنعمة الله تعالى عليه فيقول : « كنت أحتطب الحطب على رأسى »^(٢٧) .

وبنو بويه هؤلاء الذين ابتدأت بهم دولتهم هم : أبو الحسن على

(٢٢) مسكويه ج١ ص ٢٧٥ .

(٢٣) انظر Ency. Ist. art. Mardawidj

(٢٤) جمال سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ص ٥٠

(٢٥) ويقال أنهم كانوا ينتسبون الى ملوك ساسان الفارسيين ، العدوى : نهر التاريخ ص ٤١٥ .

(٢٦) الفخرى : الاداب السلطانية ص ٢٧٧ ، العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص ٤٩٩ .

(٢٧) وانظر Shaban, Islamic history Vol 2, P. 160

وأبو على الحسن وأبو الحسن أحمد أبناء أبي شجاع^(٢٨) .

وقد كان هؤلاء في جند ماكان بن كالى حين كان نجمة في صعود ،
فلما أن لنجمة أن يأفل ورأوا ضعفه وعجزه قال له أبو الحسن على
وأخوه أبو على الحسن : « الأصل لك مفارقتنا أيأك لتخف عنك مؤونتنا
وبقع كلنا على غبرك فاذا تمكنت عاودناك »^(٢٩) .

ورواية أبي الفدا : « فاذا صلح أمرنا عدنا اليك »^(٣٠) .

وقد صلح أمر بنو بويه فعلا وصارت لهم دولة قوية « دولة نبعت
بما لم يكن في حساب الناس ، ولم يخطر ببال أحد ، قدوخت
الأمم ، وأذلت العالم ، واستولت على الخلافة ، فعزلت الخلفاء وولنهم ،
واستوزرت الوزراء وضرفتهم ، وانقادت لأحكامها أمور بلاد العجم وأمور
العراق ، وأطاعتهم رجال الدولة بالاتفاق ، هذا بعد الضيق والفقر والذل
والمسكنة ومعاناة الحاجة والاضطهاد »^(٣١) .

تطور قوة البويهيين :

أما تفصيلات كيف سارت الأمور باخوة بنى بويه الثلاثة : فقد بدأت
شموسهم تعلقو عندما ولى مرداويج بن زيار الديلمي^(٣٢) على بن بويه
بلاد الكرج الى الجنوب الشرقى من همدان^(٣٣) ، وكان على بن بويه

(٢٨) أبو الفدا : المختصر ج٢ ص ٧٨ .

(٢٩) مسكويه ج١ ص ٢٧٧ .

(٣٠) أبو الفدا : المختصر ج٢ ص ٧٨ .

(٣١) ابن طنابل : الآداب السلطانية ص ١٧٧ .

(٣٢) كان مرداويج بن زيار الديلمي فارسي الأصل وقد عرف بتعصبه
للفرس حتى قيل « أنه يريد أن يأخذ بغداد وينقل الدولة الى
الفرس ويبطل دولة العرب ، » وقد جعل عسكره صنفين
« صنف منهم جبل وديلم وهو خواصه وأهل بلده الذين فتح بهم
الرى ونواحيها وصنف أتراك وأهل خراسان » . سرور : تاريخ
الحضارة الاسلامية في الشرق ص ٤٩ هامش ٤ .

(٣٣) مسكويه : تجارب الأمم ج١ ص ٢٧٧ ، سرور : تاريخ الحضارة
الاسلامية في الشرق ص ٥٠ .

يتصف بالسماحة والحلم والشجاعة مما أفاده في اكتساب القلوب ،
« واتصل بجميع ذلك اتفاقات محمودة ومولد سعيد » (٣٤) ، فلدى
وصوله الى الري في طريقه الى ولايته ووصول غيره من القواد كذلك
الذين أقطعهم مرداويج أعمالا عرض على بن بويه بغلة له للبيع ليستعين
بثمنها وكان ثمنها ثلاثة آلاف درهم فأشترت البغلة للحسين بن محمد
الملقب بالعميد وزير مرداويج ورأى على بن بويه أن يجامل الوزير فآخذ
عشرة دناتير فقط ورد الباقي الى العميد وجعل معه هدية جميلة اليه مما
كان له أحسن الأثر في نفس العميد .

وفي تلك الاثناء بدا لمرداويج العودة عن قراره بتقليد هؤلاء الرجال
تلك الاعمال فكتب الى أخيه وشمكير في الري والى العميد يأمرهما بالغاء
تلك العقود ويمنعهم من المسير الى أعمالهم ، بل انه أمرهما برد من كان
خرج فعلا .

ولما كانت الكتب تعرض على العميد قبل عرضها على وشمكير ، فان
العميد رأى أن يرد الجميل الى على بن بويه ، فأرسل اليه يحثه على
السير من ساعته الى عمله ، وقد أسرع على فعلا في سيره فسار في وقت
المغرب الى عمله .

وفي الصباح عندما قرأ وشمكير الكتب أوقف سير القواد الى أعمالهم
ومنعهم من الخروج من الري ، وأخذ منهم ما أعطاهم أخوه مرداويج من
العقود ، وأراد أن يرسل خلف على بن بويه من يرده ، فنصحه العميد
بألا يفعل وقال له : « انه لا يرجع طوعا ، وربما قاتل من يقصده ويخرج
عن طاعتنا » (٣٥) .

قال مسكويه : « وفاز على بن بويه بالولاية التي كانت سبب ملكه

(٣٤) مسكويه : نفس المصدر ج ١ ص ٢٧٧ .

(٣٥) مسكويه : نجارب الأمم ج ١ ص ٢٧٨ وابن الأثير : الكامل ج ٦
ص ٢٣٢ .

وتمكنه ، وليس يعرف لجميع ذلك بعد قضاء الله عز وجل سبب الاسخاء
وسعة صدره «(٣٦) .

وفي ولايته للكرج سار على بن بويه سيرة عادلة في الناس وفي
العمال ، مما دفع بهؤلاء الى أن يرسلوا الى مرداويج بن زيار يشكرون
له توليته لذلك الوالى العادل ، ويصفون له سيرته فيهم ، وكيف أنه أحكم
الأمور وضبطها .

ومن ناحية أخرى تمكن على بن بويه من استغلال مواهبه الحربية
فافتتح قلاعاً للخرمية(٣٧) ، وحصل نتيجة لذلك على أموال وافرة
استغلها في التمكين لنفسه في ولايته عن طريق شراء القلوب بالصلوات
والهبات .

ولم يكن ذلك بالأمر الذى يرضى مرداويج فأراد إثارة القلاقل لعلى
ابن بويه ، فأرسل اليه جماعة من قواده لينالوا أرزاقهم من ولاية على .

ووزن على بن بويه الأمور ، ورأى أن يستفيد من هؤلاء القواد حتى
يأتيه النفع من حيث أراد له مرداويج الضرر ؛ فاستمالهم وأرصاهم وأنعم
عليهم بالصلوات ، وكانت النتيجة أن صاروا من رجاله .

وأدرك مرداويج خطاه وأراد تداركه باسترجاع هؤلاء القادة فكتب
الى على بن بويه والى القادة في هذا الشأن ، ولكنه لم يصل الى
ما أراد ، وذلك أن على بن بويه خوف هؤلاء القادة من عودتهم الى
مرداويج وأخذ عليهم العهود لنفسه فأجابوه جميعاً الى ذلك . وكان

(٣٦) مسكوية : نفس المصدر ج ١ ص ٢٧٨ .

(٣٧) الحرمية :- حركة أخذت اسمها من أسم زوجة فردك زعيم
الاباحية القديم عند الفرس والتي كان اسمها « خرما » حملت
نشاط زوجها الهدام بعد أن قتله كسرى قباد ، وتابعت نشر
مفاسده ، وكان من أخطر زعماء هذه الحركة بابك الحرمى الذى
قتل في عهد الخليفة العباسى المعتصم بالله على يد فائد الأفشين .
أنظر في هذه الحركة : العدوى « حركات التسلل ضد القومية
العربية » من ص ٣٥ - ٤٣ .

هؤلاء القادة في تصرفهم هذا ينظرون أول ما ينظرون الى مصلحة أنفسهم ، ولم يكن شأنهم شأن الرعية المستقرة التي تطيع اذا أمرت (٣٨) .
وشاعت الظروف آنئذ أن ينضم الى على بن بويه أحد قواد الديلم وهو شيرزاد ، فقويت نفسه بذلك (٣٩) .

ومع ما وصل اليه على بن بويه من قوة فانه كان يدرك أنه قبل كل شيء أحد عمال مرداويج وأن مرداويج لن بسكت عنه ، وأن يد مرداويج قد تصل اليه في أي وقت ، فلا بأس من أن يطمح ببصره الى الدخول في طاعة الخلافة ليكون في خدمتها بدلا من خدمة مرداويج .

سار على بن بويه في ثلاثمائة من جنده قاصدا أصبهان ، وراسل أصحاب أصبهان المظفر بن ياقوت الذي تجهز لقتاله في عشرة آلاف فارس بعد أن رفض مطلب على بن بويه بتحريض من أبي على رستم صاحب خراج أصبهان ، وساندت الظروف على بن بويه بوفاة أبي رستم على آنذاك ، والتقى بجند المظفر ياقوت على مقربة من أصبهان ، ونجح على ابن بويه في استمالة ستمائة رجل من جند المظفر مستغلا ما يربطهم بجنده من رابطة العصبية حيث كانوا من الجيل والديلم (٤٠) ، وكانوا قد علموا من خصال على بن بويه ما حبيبهم في الانضمام اليه ، وهكذا تمكن على بن بويه بعد قتال شديد من تحقيق النصر على المظفر بن ياقوت والاستيلاء على أصبهان ، وكان لهذا النصر صداه في جانب الخلافة وفي جانب مرداويج ، ففي حين استعظمت الخلافة ذلك رأى فيه مرداويج خطرا لابد من حسمه والقضاء عليه ، وذلك أنه خاف على ما بيده من البلاد (٤١) ، أما الناس فقد عظم في عبونهم على بن بويه « لأنه في

(٣٨) ابراهيم الشريف : العالم الاسلامي في العصر الاسلامي ص ٥٠٥ .

(٣٩) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٢٣٢ .

(٤٠) ابن الأثير نفس المصدر ج ٦ ص ٢٣٢ .

(٤١) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٢٣٢ : مسكوبه : تجارب الأمم ج ١ ص ٢٧٨ .

تسمائة رجل هزم ما يقارب عشرة آلاف رجل « (٢٢) .

على أية حال رأى مرداويج أن رجلا مثل على بن بويه لا يمكن القضاء عليه إلا بأعمال الحيلة ، فأرسل إليه رسالة يعاتبه فيها ويحاول استمالة له ، وأظهر كأنما كان يقره على ما فعل ولكن على شرط أن يظهر طاعته له ، وأنه على استعداد لامداده بما يحتاجه من جند حتى يتمكن من فتح ما يريد من البلاد . وأنه لا يطلب منه سوى « الخطبة له في انلاد التي يستولى عليها » (٢٣) .

وكانت حطة مرداويج تقضى عدم اتاحة الفرصة لعلى بن بويه لكثير تفكير في رسالته ، ففي الوقت الذي قد يداخل فيه على بن بويه شيء من الطمأنينة لرسالته اليه يكون جيشا كثيرا بقيادة أخيه وشمكير قد فاجأه بالanzول عليه ، وتسربت أخبار تلك الحملة الى على بن بويه لفرحل دون انتظار لمواجهة قد يخسر فيها وذلك بعد أن جبي خراج أصبهان مدة شهرين . وكلى على بن بويه يرى أن بقاءه في أصبهان لن يبعده كثيرا عن سطوة مرداويج ، كما أن بقاءه فيها سيثير سخط الخلافة عليه من ناحية أخرى لأنها كانت حريصة على موقع أصبهان (٢٤) .

سار على بن بويه عن أصبهان ميمما شطر مدينه أرجان (٢٥) التي تقع في منتصف الطريق بين أصبهان وشيراز ، وتمكن في ذى الحجة سنة ٩٣٣هـ/٣٣٣م من الاستيلاء عليها دون قتال حيث أدرك صاحبها أبو بكر ابن ياقوت عدم قدرته على مواجهة على بن بويه الذي هزم والى أصبهان الذي كان أكثر قوة ، وأثر أبو بكر بن ياقوت أن ينسحب جنوبا

(٢٢) مسكويه : تجارب الأمم ج١ ص ٢٧٩ وابن الأثير : نفس المصدر ج١ ص ٢٣٢ .

(٢٣) ابن الأثير نفس المصدر ج١ ص ٢٣٢ .

(٢٤) ابراهيم الشريف : العالم الاسلامى في العصر العباسى ص ٥٠٦ .

(٢٥) أرجان : مدينة كسرة على نهر طاب ، وهى في إيران وتسمى أرغان .

قاصدا رامهرمز^(٤٦) لعله يفلح مع غيره في التمكن من الوقوف في وجه ابن بويه .

ومن ناحية أخرى تمكن جيش وشمكير من دخول أصبهان ، ولكن يبدو أن الخلافة كانت تنتظر بعين الحذر الى وجود مرداويج في أصبهان لذلك أرسل الخليفة القاهر بالله الى مرداويج يأمره بتسليم المدينة الى محمد بن ياقوت ، فاطاع مرداويج أمر الخلافة ووليها محمد^(٤٧) .

وبقى على بن بويه في أرجان مدة تمكن في خلالها من اراحة جنده ، ومن الحصول على مال يتقوى به ، وهناك وافته كتب أبى طالب زيد بن على يحثه على السير الى شيراز ، ويهون له أمر ياقوت صاحبها وأمر أصحابه وأن شيراز لن تكون مع ياقوت عليه وذلك لتهور ياقوت « واشتغاله بجباية الأموال وكثرة مئونته ومئونة أصحابه ، وثقل وطأتهم على الناس مع فشلهم وجبنهم. »^(٤٨) .

ورغم ذلك فإن على بن بويه كان يخشى وقوعه بين ياقوت من جهة وأبنائه من جهة أخرى ففضل المكوث في أرجان ، غير أن كتب أبى طالب لاحقته بخبر جديد يمثل خطورة على بن بويه وذلك أن مرداويج قد كتب الى ياقوت حتى يجتمع معه على محاربة عدوهما المشترك . وخوفه أو طالب من أنهما اذا اجتمعا على محاربته لم يكن له بهما طاقة ، وأوضح له رأيه بقوله : « ان الرأي لمن كان في مثل حاله أن يعاجل من بين يديه ، ولا ينتظر بهم الاجتماع والكثرة أن يحدقوا به من كل جانب فانه اذا هزم من بين يديه خافه الباقون ولم يقدموا عليه »^(٤٩) .

(٤٦) تجارب الأمم : ج٢ ص ٢٨٠ .

(٤٧) ابن الأثير : الكامل ج٦ ص ٢٣٢ .

(٤٨) ابن الأثير : نفس المصدر ج٦ ص ٢٣٢ : مسكوبه : تجارب الأمم ج١ ص ٢٨٠ .

(٤٩) ابن الأثير : نفس المصدر ج٦ ص ٢٣٣ ، مسكوبه تجارب الأمم ج١ ص ٢٨١ .

وافتنع على بن بويه بالتقدم صوب النويندجان (٥٠) بمواطاة من صاحبها الذي تنحى عنها الى بعض القرى ، وكلف وكلاءه بخدمة على بن بويه ؛ ومن هناك أرسل على بن بويه أخاه الحسن بالتوجه الى كازرون (٥١) وبعض أعمال فارس لاستجلاب أموال تعوضه عن خسائره وتمكن الحسن من هزيمة جيش لياقوت عند كازرون رغم قلة جنده وعاد محملا بالأموال والغنائم الى أخيه (٥٢) . واضطر على بن بويه الى الخروج من النويندجان عندما علم صدق المراسلات بين مرداويج ووشمكير من ناحية وياقوت من ناحية أخرى وخاف من اجتماعهم عليه ، وتمكن من الوصول الى اصطخر ثم الى البيضاء وياقوت يسير في أثره ، وتمكن ياقوت في النهاية من أن يسبق على بن بويه الى قنطرة يعلم مسيره اليها في طريقه الى كرمان ، ومنع ياقوت على بن بويه من العبور مما اضطر على بن بويه الى محاربتة ، وتمكن بفضل ما أبداه من بسالته وسياسته في جنده أن يحقق النصر ، فقد جمع على بن بويه أصحابه وحمسهم على خوض القتال ووعدهم حسن المكافاة وفي ذلك يقول مسكويه : « فاستدعى على بن بويه أصحابه ليلة الخميس وأعلمهم أنه يترجل معهم ويقا تل كأحدهم ووعدهم ومناهم ، واستوثق منهم الايمان في الثبات والجهاد والجد » (٥٣) .

وشاعت الظروف أن تخدم على بن بويه مرة أخرى ، فعلى عكس ما حدث من انحياز بعض جند أعدائه اليه في إحدى معاركه انحاز جماعة من أصحابه الى ياقوت واستامنوا اليه ، ولكن ياقوتا تشكك في انحيازهم اليه فأمر بضرب رقابهم ، فكان ذلك دافعا لرجال على بن بويه الى الاستيسال في قتال ذلك الرجل الذي لا يؤمن أن يستامن اليه .

(٥٠) مسكويه : تجارب الأمم ج٢ ص ٢٨١ والنوانندجان : مدينة من أرض فارس من كورة سابور بين أرجان وشيراز . ياقوت ج٦ ص ٣٠٧

(٥١) كازرون : مدينة بفارس بين البحر وشيراز . ياقوت : معجز البلدان ج٤ ص ٤٢٩

(٥٢) مسكويه . تجارب الأمم ج١ ص ٢٨١ .

(٥٣) مسكويه نفس المصدر د ص ٢٨٢

. كما شاعت الظروف كذلك أن تقف الى جانب على بن بويه مرة اخرى حيث كان ياقوت يستخدم في مقدمة جيشه رجالا يحاربون بمزاريق النفط والنيران يلقونها على أعدائهم ففسادت الطبيعة على بن بويه حيث تغير اتجاه الرياح واشتدت فجأة فامسكت. بوجوه وثياب أصحاب ياقوت فدب الاضطراب في صفوفهم ، وانتصر عليهم جند على^(٥٤) ، ولجأ ياقوت الى مكان مرتفع وضع عليه راينه فتجمع حوله نحو اربعة آلاف من رجاله منتظرا انكباب جند على على ما خلفوه من الغنائم واشتغالهم بذلك مما يتيح له العودة الى قتالهم وقال لهم (لا تفرقوا وتأهبوا للكرة فانه الظفر لا محالة)^(٥٥) ، وفي ذلك يقول مسكويه « وهذه لعمري مكيدة طالما صارت سببا لظفر قوم بعد هزيمتهم »^(٥٦) ، ولكن على بن بويه لم يغيب عنه تفكير ياقوت فنبيه أصحابه الى عدم الانصراف الى الغنائم وقال لهم : « لا تبعدوا ولا تنقضوا تعببتكم فان الخصم واقف ينتظر اشتغالكم بالنهب ثم يعطف عليكم ولم يبق له غير هذه المكيدة »^(٥٧) وطلب منهم أن ينتبهوا لذلك والغنائم بعد النصر في انتظارهم ، وأطاعه أصحابه مما اضطر ياقوت الى الانهزام في جنده بينما أصحاب على بن بويه يقتلون في جنده ويأسرون ويغنمون الخيل والسلاح .

وهكذا تحقق لعلى بن بويه دخول شيراز منتصرا في سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٤م ، وكان ممن علا نجمه في القتال آنذاك فتى يافع في التاسعة عشرة من عمره هو أبو الحسن أحمد بن بويه .

وكان على بن بويه بعد أن انتهت المعارك على مستوى القيادة العظماء في حسن الخلق حين رفض أن يشهر بأسراه مع أن ياقوت كان فد أعد صناديق مليئة بالبرانس والقيود لتسهير من يقع في أسره من جند

-
- (٥٤) مسكويه : تجارب الأمم ج١ ص ٢٨٢ وابن الأثير : الكامل ج٦ ص ٢٣٥ .
- (٥٥) مسكويه : تجارب الأمم ج١ ص ٢٨٣ .
- (٥٦) مسكويه : نفس المصدر ج١ ص ٢٨٣ .
- (٥٧) مسكويه : نفس المصدر ج١ ص ٢٨٣ ، ابن الأثير : الكامل ج٦ ص ٢٣٥ .

على ، وقد قال على لمن أشار عليه من قواده بأن يجعل البرانس على رموس أسراه والقيود في أرجلهم ويشهر بهم في المعسكر ثم في البلد « بل نعدل عن هذا الى العفو عمن أظفرنا الله بهم من أعدائنا ونشكر الله على هذه النعمة فإنه أدعى للمزيد ، وأبعد من البغى والطغيان » (٥٨) .

وكان من نتيجة ذلك أن علا قدره في دفوس جنده وفي نفوس أسراه حتى أن الأسرى رفضوا العودة الى ياقوت ، وفضلوا المقام عنده ، فقبلهم بين جنوده وأحسن اليهم (٥٩) .

وشاءت الظروف كذلك أن تقوده في يسر الى أموال ياقوت التي كانت تتراوح بين ثلاثمائة ونصف مليون دينار ، فانفق منها على جنده مما حبهم فيه وثبت أقدامه ، وتحقق له بذلك أن يقف قاب فوسين من حلمه عندما راسل الخليفة الراضي بالله العباسي (٣٢٢ - ٣٢٩ هـ) (٩٣٤ - ٩٤١ م) ووزيره على بن مقله بعرفهما أنه على الطاعة ، ويطلب الاعتراف له بما تحت يده من البلاد اقطاعا في مقابل أن يبذل للخلافة مليوناً من الدراهم (٦٠) .

وفاز على بن بويه باعتراف الخلافة ، ولبس الحلعة واللواء اللذين ارسل اليه في صحبة رسول الخلافة ، ويقول ابن الأثير أنه رغم ذلك فقد عاظم الرسول في دفع المال ، بل أن الرسول ظل عند على حتى مات في سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٥ م (٦١) .

والحق أننا بالنظر الى سلوك على بن بويه ورجاله نرى الأمر لا بمثل غروا أو فنحا لبلاد ، والا فابن الرجال الذين خلفهم على بن بويه في أي بلد حقق به انتصارا ؟ ، ومن هذا يتضح أن الأمر في حقيقته بمثل

(٥٨) مسكويه : نفس المصدر ط ص ٢٨٣ ، ابن الأثير . الكامل ج ٦ ص ٢٣٥

(٥٩) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٢٣٥ .

(٦٠) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٢٣٥ ، ويعمل بر طباطبا المبلغ نمانية ملايين درهم .

ابن طباطبا : الفخرى في الآداب السلطانية ص ٢٧٨

(٦١) ابن الأثير : نفس المصدر ج ٦ ص ٢٣٥ ، ٢٣٦

هجرة قام بها البويهيون ليصلوا الى مكان مناسب يمكن أن يحقق لهم الأمان ، وقد أتيح لهم ذلك في شيراز فاستقروا فيها واتخذوها قاعدة ، وذلك بعد هجرة سنتين في اتجاه الجنوب . ثم أتيح لهم من ذلك الموقع الاتصال بالخلافة والحصول على اعترافها .

وهكذا أبان على بن بويه عن مقدرة سياسية وحربية فذة ، وكان لابد أن يعلو نجم بنى بويه ، وأن يحصلوا على المزيد من المكاسب والمكانة لاسيما وهم تحت قيادة على بن بويه الذى عرف بالترث و عدم التعجل فى الحصول على أمر من الأمور كما بدا ذلك من خلال كل تصرفاته حتى وصوله الى شيراز .

وعلى الجملة ، فقد أدرك على بن بويه ما كان يطمح اليه ، وصار أول ملوك بنى بويه (٦٢) .

ولم يكن ما وصل اليه على بن بويه يرضى مرداويج ، وقد عبر ابن الأثير عن موقف مرداويج هذا فقال : « وقام لذلك وقعد » (٦٣) ، وساعدته الظروف آنئذ أن يعيد وشمكير الى أصبهان التى كان أخلاها بناء على أوامر الخلافة ، وذلك أن الخليفة القاهر قد خلع (٦٤) فى حين تأخر محمد بن ياقوت عن دخول أصبهان ؛ وهكذا عاد وشمكير الى أصبهان بعد أن ظلت تسعة عشر يوما بغير أمير ، ثم وصل مرداويج بعد ذلك بنفسه الى أصبهان ، ومن هناك وجه بأخيه وشمكير الى الرى (٦٥) .

(٦٢) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٧٩

(٦٣) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٢٣٦

(٦٤) اجتمعت الساجية والحجرية على القبض على القاهر وخلعه ، وتم لهم ذلك وحبسوه ، وذلك بعد أن سملوه حتى سالت عيناه على مخره ، وذلك فى يوم الأربعاء ٥ من جمادى الأول سنة ٣٢٢ هـ . مسكويه : تحارب الأمم ج ١ ص ٢٨٦ وانظر كتانا : الخلافة العباسية فى العصر التركى الأول ص ١٤٢

(٦٥) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٢٣٦

وأراد مرداويج أن يحسم أمره مع علي بن بويه ، فدبر خطة تقضى بارسال جنود الى الأهواز يستولون عليها ، فيقطع بذلك الطريق على علي بن بويه للاتصال بالخلافة ، وفي نفس الوقت يتوجه مرداويج بنفسه من أصبهان اليه ، وبذلك يقع علي بين فكي كماشة من جنود مرداويج .

وتمكن مرداويج فعلا من الوصول الى ايزج^(٦٦) في شهر رمضان سنة ٣٢٣هـ/٩٣٥م ، وتمكن ياقوت الخائف من مرداويج ومن علي بن بويه آنئذ أن يحصل من الخليفة الراضي على تقليده الأهواز ، ولكن مرداويج ما لبث أن تمكن من الاستيلاء على الأهواز .

وجنح على بن بويه الى الحكمة فعمل على استمالة مرداويج ووسط نائب مرداويج في ذلك ، وقبل مرداويج على شريطة أن يعلن علي بن بويه الطاعة له لو أن يخطب له في بلاده، فقبل علي بن بويه ذلك؛ وبفضل تلك الحكمة استقرت امور علي بن بويه ، وحفظ طاقته الحربية من استنفادها في حرب غير مأمونة النتائج ، وقد أرسل علي بن بويه الى مرداويج بهدية جميلة ، وأرسل بأخيه ركن الدولة الحسن رهينة^(٦٧) الى مرداويج لضمان الوفاء بما عاهده عليه .

لم يلبث مرداويج أن لقي حتفه في نفس سنة ٣٢٣هـ/٩٣٥م ، وذلك حين تمرد عليه جنوده من الأتراك الذين نقموا عليه تفضيله للديالة من جنده عليهم انحيازا منه الى بني جلدنه ، وكان رؤساء الأتراك الذين تالبوا عليه : بجكم وتوزون^(٦٨) وباروق وابن بغرا ومحمد بن ينال الترجمان^(٦٩) .

(٦٦) ايزج : بلد بين خوزستان وأصبهان .

Le strange, Lands of the Eastern .. P. 280

(٦٧) ابن الأثير : الكامل ج٦ ص٢٣٩

(٦٨) صار بحكم أميراً للأمراء في عهد الخليفة الراضي سنة ٣٢٦هـ/٩٣٨م ، أما توزون فقد صار أميراً للأمراء سنة ٣٣١هـ/٩٤٣م في عهد الخليفة المتقي للـ . انظر في ذلك كتابنا :

الخلافة العباسية في العصر التركي الأول من ص١٩١ - ٢٢٤ .

(٦٩) أبو الفدا : المختصر ج٢ ص٨٢ ، الخضرى : محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية ج٢ ص٣٧٧ .

. هذا ، وقد نهب الأتراك قصر مرداويج وهربوا ، وكان مرداويج كما يقول ابن الأثير « قد تجبر قبل أن يقتل وعتا وعمل له كرسيًا من ذهب يجلس عليه ، وعمل كراسي من فضة يجلس عليها أكابر قواده ، وكان قد عمل له تاجا مرصعا على صفة تاج كسرى ، وقد عزم على قصد العراق والاستيلاء عليه ، وبناء المدائن ودور كسرى ومسكنه ، وأن يخاطب إذا فعل ذلك بشاهنشاه » (٧٠) ، ويضيف ابن الأثير مشيرًا إلى قتله وراحة الناس منه فقال : « فاتاه أمر الله - وهو غافل عنه - واستزاح الناس من شره » (٧١) .

وكان من نتيجة ذلك أن تمكن ركن الدولة الحسن بن بويه من الهرب إلى أخيه على ببلاد فارس (٧٢) .

ومن ناحية أخرى افترق الأتراك بعد قتل مرداويج إلى فرقتين سارت أحدهما إلى علي بن بويه ، وكانت تلك الفرقة تحت رئاسة قائد يسمى فجخج ، بينما تبعت فرقة أكبر زعيمها بجكم ، أما وشمكير أخو مرداويج فقد انضم إليه بالرأى أصحاب أخيه القتييل وتوافدوا عليه (٧٣) .

وهكذا ، بالنظر إلى المسرح السياسي آنذاك ، وفي ضوء ما حدث من تطورات ، نرى عندنا ثلاث قوى رئيسية - هي : قوة علي بن بويه بفارس ، وقوة الزباريين - أتباع وشمكير بن شيرويه الذي آل إليه أمرهم بعد وفاة مرداويج وأن لم يكن له من القوة والنفوذ ما كان لأخيه مما كان يعنى تطورا جديدا في نوع التبعية المعترف بها بين البويهيين والزياريين والتي وقعت بنودها بين مرداويج وعلي بن بويه ، ولم يكن في استطاعة وشمكير فرض تلك التبعية عمليا على البويهيين ، وصارت قوة علي بن بويه لا تسمح له بأن يلين في تعامله مع الزياريين .

(٧٠) ابن الأثير : نفس المصدر ج٦ ص ٢٤٦
(٧١) ابن الأثير : نفس المصدر ج٦ ص ٢٤٦
(٧٢) ابن الأثير : نفس المصدر ج٦ ص ٢٤٦ .
(٧٣) ابن الأثير : نفس المصدر ج٦ ص ٢٤٦ .

أما ثلاثة القوى ، فكانت قوة السامانيين بخراسان وما وراء النهر ، وهؤلاء كانوا في سغل بدورهم الجهادى فى الذود عن البعور الاسلامى وهو دور يحيطهم بالتكريم والاحترام ، وما كان لهم أن يشغلوا أنفسهم بالتدخل فى أمور المنطقة الوسطى من العالم الاسلامى (٧٤) .

فاذا أدركنا أن منطقة فارس التى استقر فيها البويهىون كانت خارجة عن المنطقة التابعة للسامانيين وكانت آخر منطقة من المناطق الخاضعة للخلافة فى الشرق ، أدركنا أن السامانيين أدركوا أنهم ليسوا طرفا فى خلاف ، وأن المشكلة فى سداها ولحمتها هى مشكلة الخلافة التى أدركت من ناحيتها ألا تطلب من السامانيين التدخل فى مثل هذا الامر ، وهكذا بدا السامانيون وكأنهم يقرون ما أضحى أمرا واقعا

أما ياقوت الذى كان بالأهواز فضعت قوته الى درجة كبيرة ، حتى انه لم يعد قادرا على أن يحافظ على ما معه (٧٥) .

والنتيجة بعد كل هذا أن على بن بويه صار متمكنا فى اقليمه معترفا به من الجميع ، آمنا من أى هجوم عليه ، بل وصار من مكانه هذا البعيد عن كل مراكز القوى الاسلامية المختلفة يفكر فى توسيع قاعدته ليجعل من اقليم فارس مركزا لدولة أكبر ، تجمع الى اقليم فارس الاقاليم ذات الصبغة الابرانية التى يمكن أن تنضم الى هذا المركز الجديد (٧٦) .

وفى تلك الاثناء كان الاخ الثانى الحسن بن بويه قد سيره أخوه على الى بلاد الجبل ، وتمكن من الاستيلاء على أصبهان وغيرها ونحى عنها نواب وشمكير ، وظل الحسن بن بويه يتنازع ووشمكير بلاد أصبهان وهمدان وقم وقاشان وكرج وكنكور وقزوین وغيرها حتى انتهى الامر باستيلاء الحسن عليها بعد خطوب وحروب طويلة (٧٧) .

-
- (٧٤) ابراهيم الشريف / العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص ٥١٤ .
(٧٥) الخضرى : محاضرات فى تاريخ الأمم الاسلامية ج ٢ ص ٣٧٨ .
(٧٦) ابراهيم الشريف : نفس المصدر السابق ص ٥١٤ .
(٧٧) الخضرى محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية ج ٢ ص ٣٧٨ .

الاستيلاء على الأهواز (٧٨) :

وقد رأى عماد الدولة بن بويه وركن الدولة الحسن بن بويه بعد أن تمكنت أمورها في بلاد فارس وبلاد الجبل أن يطمحا ببصرهما إلى الأهواز لقيمتها الاستراتيجية فهي بالنسبة للبويهيين تصلهم بالشمال ببلادهم الأولى كما أنها هي التي تصلهم بالعراق فهي دهليز العراق كما هي دهليز فارس (٧٩) .

وفي انتظار الفرصة المناسبة رأى الأخوان تسيير أخيهما الأصغر أبى الحسين أحمد إلى كرمان ، وحفزهما على التفكير في ذلك ما أدركاه من ضعف قوة الخليفة العباسي في بغداد .

سار معز الدولة أحمد بن بويه في سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٦م في جيش كبير ، فلما وصل كرمان تركها صاحبها من غير حرب ورحل إلى سجستان ، فملكها أحمد بن بويه ، وكان بتلك الأعمال طائفة من الأكراد (٨٠) (القفص والبلوص) (٨١) وقد تغلبوا عليها وكانوا يحملون في كل سنة شيئاً من المال بشرط ألا يطاؤا بساطه (٨٢) ، وقد عرض رئيسهم على بن الزنجي - المعروف بعلي كلويه - على أحمد بن بويه أن يجروا معه على ما كانوا مع صاحب كرمان قبله فقبل ذلك منه ، وخطب على بن كلويه لأحمد بن بويه .

وزين بعض أصحاب أحمد بن بويه له أن ينقض عهده ، وأن يسرى

(٧٨) الأهواز : كورة عظيمة كانت تضم سبع كور بين فارس والبصرة وهي « خوزستان » في إيران اليوم ، ومدينة الأهواز ما تزال قائمة على نهر كارون الذي يمد شط العرب في إيران .

Le Strange, Lands of the Easter Caliphate, P. 267

وانظر ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٢٨٤ .

(٧٩) إبراهيم الشريف العالم الاسلامي في العصر العباسي ص ٥١٦ .

(٨٠) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٧٥ .

(٨١) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٣٥٥ .

(٨٢) ابن الأثير نفس المصدر ص ٢٥٥ ، وابن خلكان : وفيات الأعيان

ج ١ ص ١٧٥ .

الى القوم بليل فيأخذهم على غفلة ، ويستولى على أموالهم وذخائرهم ، فنكت أحمد بعهدده وقصدهم ليلا في طريق وعرة ، ولكن القوم لم يكونوا غافلين فنصبوا له ولرجاله كميناً مكنهم منهم ، وكثر القتلى والأسرى في جند أحمد ، بل وقع هو نفسه تحت ضرباتهم أسيراً مثخناً بجراحه » وطاحت يده اليسرى وبعض أصابع يده اليمنى ، وأثخن بالضرب في رأسه وسائر جسده ، وسقط بين القتلى ثم سلم بعد ذلك « (٨٣) » .

ورغم غدر أحمد بن بويه فإن على كلويه عندما رآه مثخناً بجراحه بين القتلى عمل على إنقاذه وأحضر له الأطباء ، وبالغ في علاجه واعتذر اليه .

ثم أرسل على كلويه الى على بن بويه يعتذر له عما وقع لأخيه ، ويعرفه بما كان من غدر أخيه بهم وأنه في طاعتهم ، فقبل عماد الدولة اعتذاره واستقر الصلح بينهما (٨٤) .

ولكن ما ان عادت الى أحمد بن بويه قوته حتى حاول الانتقام من على كلويه ، ولم تعجب سياسة التهور التي يسير عليها أحمد أخاه علياً ، ورأى ان تلك السياسة لا تتفق ووضع هذه البلاد ، فأمر أحمد بالعودة اليه ، وأرسل بعضاً ممن يثق في قدرتهم على اتباع السياسة التقليدية في هذا الاقليم (٨٥) .

عاد أحمد بن بويه الى أخيه وأقام عنده باصطخر ، وواتت الفرصة التي كان يطمح اليها على بن بويه بالاستيلاء على الأهواز الاستراتيجية حين لجأ أبو عبد الله البريدي والى الأهواز الى البويهيين فاراً من وجه

(٨٣) ابن الأثير : الكامل ج٦ ص ٢٥٥ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج١ ص ١٧٥ .

(٨٤) ابن الأثير : نفس المصدر ج٦ ص ٢٥٦ ، إبراهيم الشريف : العالم الاسلامي في العصر العباسي ص ٥١٥ - ٥١٦ .

(٨٥) ابن الأثير نفس المصدر ج٦ ص ٢٥٦ ، إبراهيم الشريف : العالم الاسلامي في العصر العباسي ص ٥١٥ - ٥١٦ .

الخلافة بعد استيلاء بجكم على الأهواز ، وهون البريدي على عماد الدولة على بن بويه أمر الخلافة وأطمعه في العراق (٨٦) .

ورأى على بن بويه أن الفرصة لن تكون أسنح منها الآن لتحقيق مطمعه بالاستيلاء على الأهواز تحت إيهام البريدي بإعادته إلى الأهواز ، وتمكن جيش أحمد بن بويه بالتعاون مع قوات البريدي من فتح الأهواز . ولم يتفق أحمد بن بويه والبريدي بعد أن لاح النصر ، وبدت نوايا البويهيين واضحة أمام عينى البريدي الذى توهم حيناً أن البويهيين جاءوا لمساعدته في العودة إلى الأهواز ، ووقع الخلاف بين جند أحمد من الديلم وجند البريدي من الترك ، وأرادت الخلافة استغلال ذلك فأرسلت قواتها بقيادة بجكم لتسترد الأهواز .

ولما تخرج الموقف بالنسبة لأحمد استنجد أخاه على بن بويه فأرسل إليه جيشاً تمكن من طرد البريدي من الأهواز فتراجع البريدي إلى البصرة ؛ واضطرت قوات الخلافة كذلك إلى التراجع ، واستقر بجكم في واسط طامعاً في الاستيلاء على بغداد لبحتل مكان ابن رائق أمير الأمراء .

وهكذا صاب الأحرار أحمد بن بويه فاستفر بها بعد أن سقطت في يده سقوطاً سهلاً ، ونم لى بويه بوسيع أملاكهم وتأمينها استراتيجياً ، وأصبح بعد ذلك انحذارهم إلى بغداد أمر ليس بعبد المنال ، وكان عليهم إلى حين ترقب أحوال العراق حتى تلوح لهم الفرصة المناسبة لدخوله .

أحوال العراق لدى دخول البويهيين :

وصلت الخلافة العباسية في أواخر عهد نفوذ الأتراك إلى حالة شديدة من الضعف والاضطراب ، وصار الخلفاء العباسيون مجرد أشباح لا قوة لهم أو سلطان ، ووصلت هذه الحالة ذروتها في عهدي الخليفين الراضى والمتقى (٣٢٢ - ٣٣٣ هـ / ٩٣٤ - ٩٤٤ - ٩٤٥ م) ورغم انشاء منصب أمير

الأمراء كان لانقاذ الموقف المتردى انذاك فان امر الخليفة الراضى ضعف أمره تماما^(٨٧) ، وصار تحت حكم ابن رائق كما تحكم فيه بجكم « واستولى الأعاجم والأمراء ، وأرباب السيوف على الدولة وجبوا الأموال ، وكفوا يد الخليفة ، وقرروا له شيئا يسيرا ، وبلغه قاصرة ، ووهن من يومئذ أمر الخلافة »^(٨٨) ، وكان موت الخليفة الراضى فى سنة ٣٢٩هـ / ٩٤٠م يعنى أنهيار مجد الخلفاء العباسيين اسما وفعلا^(٨٩) .

أما الخليفة المنقلى فاننا نراه يعف فى حاسب محمد بن رائق فى احدى مراحل النزاع بين ابن رائق وأبى عبد الله البريدى ؛ ونتيجة لهجوم البريدى على بغداد اضطر الخليفة نفسه الى الهرب فى سنة ٣٣٠هـ / ٩٤١م ، ولم يتمكن من العودة الا بعد أربعة أشهر فى حراسة حمدانية مسلحة ، ونولى بنو حمدان منصب امير الأمراء ، ولكنهم لم يستقروا طويلا حتى تمكن توزون أحد قادة الأتراك من هزيمة سيف الدولة ، وتمكن من دخول الموصل سنة ٣٣٢هـ / ٩٤٣م ، وكان من نتيجة ذلك ان سار المتقى الى الرقة^(٩٠) ، ولحقه سيف الدولة .

وأرسل المتقى الخلع الى توزون واسترضاه وطلب منه أن يسمح له بالعودة الى بغداد لأنه على حد قوله « رأى من بنى حمدان تضجرا به وايثارا لمفارقه »^(٩١) .

وحاول المتقى من ناحيه أخرى الاستجداد بوالى مصر محمد بن يطنج

(٨٧) الذهبى : دول الاسلام ج٢ ص ١٩٩ ، سيدىو : خلاصة تاريخ العرب ص ١٢١ .

Amir Ali, A Short History of the Saracenes, P. 302

Saunders, A History of Medieval Islam, P. 135 :

(٨٨) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٨٢ .

(٨٩) العدوى : الاسلام وامبراطورية الروم ص ١١٩ .

(٩٠) الرقة مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين جبراس ثلاثة ايام معدودة فى بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقى . يافوت : ج٣ ص ٥٩ .

(٩١) ابن الأثير : الكامل ج٢ ص ٣٠١ ، وانظر : مسكوبة : تحارب الأمم ج٢ ص ٦٧ .

الأخشيد الذى الى الرقة فى المحرم سنة ٣٢٢هـ / ٩٤٣م وعرض على الخليفة أن يسير معه الى مصر والشام فلم يقبل المتقى ، فطلب منه الأخشيد الا يذهب الى بغداد خشية عليه من توزون ، فرفض الخليفة ذلك أيضا (٩٢) .

وأرسل المتقى الى توزون يستوثق منه ويطلب منه أن يؤمنه ، فأمنه توزون وأشهد على نفسه (٩٣) ، فعاد المتقى الى بغداد وبصحبه وزيره ابن مقلة ، فانزلهما منزلا ، وكحل المنقى فأذهب عينيه ، وصاح حرم المتقى وخدمه وعلت أصواتهم فأمر توزون بضرب الدبابد حتى لا تظهر أصواتهم « فخفيت أصواتهم وعمى المتقى بالله » (٩٤) ، وأدخل المتقى بغداد فى سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م (٩٥) .

ويتضح من سيرة المتقى أنه لم يعد أن يكون العوبة فى أيدي القواد المتنافسين على السلطة من جهة وفى أيدي البريدى وابن رائق والحمدانيين من جهة ثانية (٩٦) .

وعين توزون بعد المتقى أخاه أبا القاسم عبد الله ولقبه المستكفى بالله ، ومات توزون بعد وقت قصير من ولاية المستكفى بالله ، وتولى امرة الأمراء بعده جعفر بن شيرزادة (٩٧) .

وعلى الجملة ، فقد ساءت الأحوال فى الخلافة العباسية فى أواخر

-
- (٩٢) مسكوية : تجارب الأمم ج٢ ص ٦٧ ، ٦٨ .
(٩٣) أحضر توزون لذلك القضاة والعدول والعباسيين والطالبيين ومشايخ الكتاب وحلف بحصرهم وكتب بذلك كتاب وأحكم ووقعت فيه الشهادة من جميع من حضر على توزون . مسكوية : تجارب الأمم ج٢ ص ٦٧ .
(٩٤) مسكوية : تجارب الأمم ج٢ ص ٧٢ ، ابن الأثير : الكامل ج٦ ص ٣٠١ والدبابد . جمع دبدب وهو الطبل ، وانظر : النويرى : نهارب الأبت ج٢٣ ص ١٧٧ .
(٩٥) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٨ ، أبو المحاسن : التجوم الزاهرة ج٣ ص ٢٨٢ وانظر :
Amir Ali, A Short History of the Saracenes, P. 302 & Shaban, Islamic History Vol 2, P. 160

- (٩٦) انظر كتابنا : الخلافة العباسية فى العصر التركى الأول ص ١٦٢
Amir Ali, Op. Cit, P. 303 (٩٧)

عهد نفوذ الأتراك سياسيا واقتصاديا وعسكريا ، وعجرت امرة الأمراء عن وضع حد لذلك الفساد ، بل وصار منصب أمير الأمراء نفسه مجلبة للنزاع من حوله ومعول هدم جديد فيما قد يكون تبقى من رموز الخلافة .

وفي مثل ذلك المناخ الملائم لقوة خارجية لاح في الأفق بنو بويه الذين كانوا قد تمكنوا من تكوين ملك لهم بفارس وتمكنوا من الأهواز ذات الموقع الاستراتيجي المتميز وصاروا بذلك يطلون عن كثر على وجه العراق الشاحب وجسد الخلافة الواهي .

ثم ان الاضطراب زاد في بغداد وغلت الاسعار وقلت الاقوات حتى كادت تنعدم فكاتب بعض القادة الأتراك أحمد بن بويه - الذي كان قد أسهم في مد النفوذ البويهى الى جنوب العراق^(٩٨) - يستدعيه لاستنقاذ العراق من وضعه المتردى .

ولم يضيع أحمد بن بويه وقتا وتمكن من دخول بغداد في ١١ جمادى الأولى سنة (٩٩) ٣٣٤هـ/٩٤٥م ، واستقبله الخليفة المستكفى بالله مظهرا السرور^(١٠٠) .

وبايح أحمد بن بويه الخليفة المستكفى في حين قلده المستكفى السلطنة وحلف له^(١٠١) .

وقد خلع المستكفى على أحمد بن بويه في ذلك اليوم القاب التشريف ، فلقبه معز الدولة^(١٠٢) ، ولقب أخاه عليا عماد الدولة ، كما لقب أخاه الآخر الحسن بلقب ركن الدولة ، وأمر أن تضرب القابهم

(٩٨) محمد حلمي أحمد : الخلافة والدولة في العصر العباسي ص ١٦٦
(٩٩) مسكوية : تجارب الأمم ج ٢ ص ٨٥ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٣١٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٧٥ .
(١٠٠) مسكوية : نفس المصدر ج ٢ ص ٨٥ ، ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ١٦٦ .
(١٠١) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٣١٤ ، وانظر : الخضرى : محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ج ٢ ص ٣٧٨ .
(١٠٢) Saunders : A History of Medieval Islam, P. 135

وكنسهم على الدنانير والدراهم (١٠٣) ؛ ولقب المستكفي نفسه امام الحق (١٠٤) .

وبذلك امتد نفوذ البويهيين على الشرق من بحر قزوين إلى الخليج العربي ، ومن اكسوس الى العراق (١٠٥) .

ويعتبر الاستاذ الخضرى يوم دخول معز الدولة بغداد « هو تاريخ الدور الثانى للخلافة العباسية ، وهو تاريخ سقوط السلطان الحقيقى من ايديهم ، وصيرورة الخليفة منهم رئيسا دينيا لا امر له ولا نهى ولا وزير ، وانما له كاتب يدبر اقطاعه واخراجاته لا غير وصارت الوزارة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من شاء » (١٠٦) .

وهكذا بدأ بدخول معز الدولة أحمد بن بويه بغداد دور جديد فى تاريخ الدولة العباسية امتد ما يزيد عن قرن من الزمان (١٠٧) .

ولم يكن للخلفاء فى هذا العهد مجرد التطلع الى التغيير أو الى محاولة استهداف إعادة شىء من مهابة الخلافة اليها « فطال لذلك حكمهم بعد أن كفوا البويهيين متاعب تدخلهم » (١٠٨) ، وأصبحوا مجرد صنائع للبويهيين يجرون عليهم روايتهم (١٠٩) .

على أننا قبل أن نسنطرد فى بيان العلاقة بين البويهيين وبين الخلفاء العباسيين نحب أن نقرر أن ظروف استدعاء البويهيين إلى بغداد تختلف تمام الاختلاف عن ظروف دخول الأتراك ، فقد بدأ دخول

(١٠٣) مسكوية : تجارب الأمم ج٢ ص ٨٥ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهر ج٣ ص ٢٨٥ ، ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ١٦٦ وانظر : ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٢١٢ ، وسوف تبدأ من هنا التعامل مع بنى بويه وفقاً لهذه الألعاب .

(١٠٤) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٩٧ .

(١٠٥) Saunders; A History of Medieval Islam, P/ 135 .

(١٠٦) الخضرى : محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ج٢ ص ٣٧٨ .

(١٠٧) Amir Ali, A Short History of the Saracenes, P. 303 & (١٠٨)

H. IBRAHIM, Islamic and History Culture, P. 205

(١٠٨) محمد حلمى أحمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى ص ١٦٦

(١٠٩) Brokeelman, 'History' of Islamic People, P. 153

الأتراك كعنصر موازنة بين الفرس والعرب بحيث يشعر كلا من العنصرين بقدرة الخلافة على أن تجد قوة تسندها من دونهما ، وقد بدأ دخول الأتراك أو الاستعانة بالعنصر التركي في عهد الخليفة المأمون ثم زاد في عهد المعتصم ، فهو قد بدأ والخلافة قوية والخلفاء أقوياء .

أما دخول البويهيين فتم في ظروف تختلف كل الاختلاف عن سابقتها ، فالخلافة تحتضر والخلفاء أشباح والدولة في أشد حالات التفكك وقد توزعت أقاليمها ، وسلطتها مغلولة في خارج العراق بل وفي العراق نفسه الذي طحنته منازعات الوزراء ومشاحنات أمراء الأمراء ، والخزانة خارية والشعب في محنة كاملة وأزمة طاحنة .

فإذا عرفنا أن الأتراك تمكنوا من احكام سيطرتهم الطاغية المتجبرة رغم قوة الخلافة عند قدومهم أدركنا مدى سهولة احكام السيطرة على الخلافة المتهاوية ابان دخول البويهيين الذين كانوا في سكرة من نشوى انتصاراتهم المتتالية والتي ختموها بدخول بغداد يخدمهم في ذلك شباب دولتهم وثروته بلادهم التي خضعت لسلطانهم قبل دخولهم العراق (١١٠) .

الفصل الثاني

سيطرة بنى بويه
على الخلفاء العباسيين

الفصل الثمانى

« سيطرة بنى بويه على الخلفاء العباسيين

سلب سلطان الخلفاء والتحكم فيهم :

تمكن البويهيين بقيادة معز الدولة من دخول بغداد على اثر اسدعائه من قبل بعض القادة من غير مشقة ، وليس ثمة شك في ان مجرد استدعاء الديلم - وهم من الشبهة الزيدية (١) - لانقاذ الخلافة السنية هو في واقعه نوع من سخرية الاقدار ، ودليل على افلاس الفكر السياسى ، فقد دخل هؤلاء الحماة الحدد بفكر عقدى لا يعترف بأحقية العباسيين فى الخلافة (٢) .

ولم يكن ثمة شك فى ان أولى خطوات البويهيين كانت ستتركز فى تحويل دفة الأمور الى أيديهم ليظل الخليفة العباسى مجرد شبح لا سلطان له .

ولعل ثمة فرقا بين عصر نفوذ الأتراك وبين عصر نفوذ البويهيين فى مدى سلطة الخليفة البروقية رغم هوانه على الجانبين ، ومع ذلك فان عصر نفوذ البويهيين كان امتدادا لعصر نفوذ الأتراك بكل ميثاليه ومساوئه ، بل زاد فى عهدهم ما بدأ عليه الخلفاء العباسيون من سلبية ومذلة .

وبمبل بعض المؤرخين الى اعفاء البويهيين من مسئولية هوان الخلافة وذاهب ربحها فيقول : « فهم لم يستحدثوا شيئا من النظم ، وانما ساروا على سنة أنشئت من قبلهم ، وحلوا محل أمراء الأمراء

(١) وهم القائلون بامامة زيد بن الحسين بن على بن أبى طالب فى اسم خروجه ، وكان ذلك فى زمن هشام بن عبد الملك .
الفرق بين الفرق ص ٢٢ : ٢٣
السهرستانى الملل والتحل ص ٢٠٧ .

(٢) ARNOLD, The Caliphate, P. 61 & H. IBRAHIM, Islamic and History Culture, P. 205

أمثال ابن رائق ويجكم وتورون وغيرهم»^(٢)، فهل من أجل هذا استدعى البويهيون ؟ .

ويجبنا على هذا السؤال الطور التالي في حياة الخلافة العباسية عندما استعان الخليفة القائم بأمر الله سنة ٤٤٧هـ بالسلجقة ، فقد دخل السلجقة بغداد وتمكنوا - في أول أمرهم من اعطاء دفعة قوية للخلافة العباسية ، وفي نفس الوقت كان لسلطة الخليفة الروحية مكانها في قلوبهم .

أما طول مدة بعض خلفاء هذا العصر فلا تعود الى استقرار حقه البويهيون ، وإنما هي ترجع في المقام الأول الى الخلفاء أنفسهم الذين لم يكن لهم من الأمر غير التسمية « بأمير المؤمنين » ولم تبدر منهم بادرة قوية تدل على محاولة أحدهم استعادة سلطانه أو شيء منه . كما رأينا من بعض الخلفاء في العصر التركي الأول^(٣) بل اكتفى هؤلاء من مظاهر الخلافة بإقامة الخطبة لهم ونقش اسمهم على السكة^(٤) .

وعلى الجملة ، فقد سيطر البويهيون على الخلفاء العباسيين سيطرة كاملة يعالون من يشاعون ويولون من يشاعون^(٥) :

١ - بعد دخول معز الدولة - أول ملوك بني بويه (٣٤٤ - ٣٥٦هـ) في الحضرة الخليفة^(٦) - بغداد في ١١ جمادى الأولى سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥^(٧) أجبر في ثاني يوم من وصوله على أن يأذن الخليفة المستكفي لابن شيرزاد بالظهور وأن يستكتبه^(٨) ، وكان المستكفي قد حلف ألا يتصرف ابن شيرزاد في أيامه ودولته ، قال دكاء مولى الراضى :

-
- (٣) إبراهيم الشريف / العالم الاسلامي في العصر العباسي ص ٥٢٠
(٤) انظر كتابنا : الخلافة العباسية في العصر التركي الأول .
(٥) Brokelman, History of Islamic People, P. 152
(٦) محمد حلمي أحمد : الخلافة والدولة في العصر العباسي ص ١٧١
(٧) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٨٧ .
(٨) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٣١٤ ، وقد ترسع على دست السلطنة في بغداد اثنين وعشرون سنة (٣٣٤ - ٣٥٦) هـ .
حسن إبراهيم : تاريخ الاسلام العباسي ج ٣ ص ٦٤ .
(٩) مسكوية : تجارب الأمم ج ٢ ص ٨٥ ، أبو الحسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٨٥ .

« وكنت حاضرا فأجابه المستكفي على كره منه ، ورأيت عينيه وقد تغرغرتا بالدموع لعظم ما ورد عليه من سؤال ابن بويه » (١٠) .

وقد أنزل معز الدولة أصحابه في دور الناس ، فلحق الناس من ذلك شدة عظيمة ، ورتب معز الدولة للمستكفي خمسة آلاف درهم يتسلمها كاتبه لنفقات المستكفي (١١) .

ويشبه سيد أمبر على موقف معز الدولة من الخليفة العباسي بشارل مارتل بالنسبة للملوك الميروفنجيين في فرنسا حيث كانت له السلطة الحقيقية في حين كان الخليفة مجرد ظل يتقاضى من الخزنة العامة خمسة آلاف دينار فقط (١٢) .

وقد تنكر معز الدولة للخليفة المستكفي ولما يمضي شهران على وصوله الى بغداد وذلك في ٢٢ جمادى الآخرة ٣٣٤/٩٤٦م (١٣) حيث اتهم معز الدولة الخليفة المستكفي بالتآمر عليه مع علم القهرمانة (١٤) ، وكانت قد علم قد صنعت دعوة عظيمة حضرها جماعة من قواد الديلم والأتراك .

وكانت شخصية علم تقلق معز الدولة بما لها من سيطرة على الخليفة ، ولما كان الأمر في بداية عهد بني بويه وشخص الخليفة من الناحية الروحية قد يكون له ما يمكنه من مساندة هذه المرأة القوية باستقطاب بعض من الديلم والأتراك فان ذلك قد يمثل خطورة على معز

(١٠) متر / الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ص ٤٠ .

(١١) مسكوية : نفس المصدر السابق ج ٢ ص ٨٥ ، أبو الفدا : المختصر ج ٢ ص ٨٥ .

(١٢) AMIR Ali, A Short History of the Saracenes, P. 303

(١٣) Amir Ali, A Short History of the Saracenes, P. 303

(١٤) وكانت امرأة عاقلة قديرة تأمرت على خلع المتقي وتولية المستكفي ، ثم صارت قهرمانة المستكفي ، وصار لها نفوذ كبير واستولت على الأمر كله . ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٣٠٢ والقهرمانة : السيطرة الحفيظة على ما تحت يدها . حسن ابراهيم تاريخ الاسلام السياسي هامش ٢ ج ٣ ص ٢٥٥ .

الدولة ، لذلك رأى . معز الدولة التخلص من المستكفي وعلم ، القهرمانه في وقت واحد .

فحضر معز الدولة والناس عند الخليفة وحضر رسول صاحب خراسان ومعز الدولة جالس ، ثم حضر رجلا من نقباء الديلم وهما يضيخان بالتخية للخليفة المستكفي^(١٦) ، وتقدما تحوّه وتظاهرا برغبتهما في نفييل بده فمد المستكفي يده اليهما « فجذبا بهما وطرحاه الى الارض ووضعاه عمامه في عنقه وجراه »^(١٧) .

وانتهت التمثيلية التي تمت بمواظاة معز الدولة^(١٦) ، واضطرب الناس وفي أثناء ذلك ضربت البوقات والطبول^(١٧) ، واقتاد الديلميات الخليفة المستكفي مائيا حتى أوصلاه الى بيت معز الدولة حيث اعتقل بها .

وقد تم ذلك بعد سنة واحدة وأربعة أشهر من خلافة المستكفي^(١٧) ، وقد قبض الديلم كذلك على أبي أحمد الشيرازي كاتب المستكفي^(١٨) ومخلوا الى دار الحرم فقبضوا على علم القهرمانه وابنتها ، ونهبت دار الخلافة حتى لم يبق فيها شيء^(١٩) .

ودفع معز الدولة بالمستكفي الى المطيع الخليفة الجديد الذي كان يكره المستكفي حيث كان ينارعه طلب الخلافة ، وحيث كان المستكفي يطلبه وهو يستخفي عند معز الدولة ويحرضه عليه فسلمه المطيع وظل في حبس المطيع حتى مات في سنة ٤٦٠ هـ ١٠٦٠ م .

(١٥) مسكوية : تجارب الأيم ج ٢ ص ٨٦ ، ٨٧ ، ابن الوردي : تنمة المحتصر ج ٢ ص ٢٧٨ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٨٥ .

(١٦) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٨٧ .

(١٧) مسكوية نفس المصدر ج ٢ ص ٣١٥ ، المغربي : السبلوك ط ١ ص ٣٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٢١٢ .

(١٨) مسكوية : المصدر السابق ج ٢ ص ٨٧ ، أبو الفدا المختصر ج ٢ ص ٩٤ ، الذهبي : دول الاسلام ج ١ ص ٢٠٦ .

(١٩) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ١٦٧ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٩٩ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٣٩٨ وانظر :

= Amir Ali, A Short History of the Saracenes, P. 303

هذا ، وقد بويغ الخليفة المطيع (٣٣٤ - ٣٦٣هـ / ٩٤٦ - ٩٧٤م) يوم الخميس ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٣٣٤ هـ ، وأحضر المستكفي عنده وانشد على نفسه بالخلع (٢٠) .

٢ - استوثي معز الدولة من الخليفة المطيع « فاستحلفه بيمين عظيمة ألا يتغيب عن معز الدولة ولا يبيغيه سيوا ولا يمالئ له عدوا » (٢١) .

وسيطر معز الدولة على المطيع سيطرة كاملة بحيث لم يعد له من سلطة أو سطوة ، وفي عهد الخليفة المطيع يقول الذهبي : « فكان من تحت يد معز الدولة لا له معه حل ولا ربط ، وقدر له في الشهر ثلاثة آلاف دينار لنفقتة ، وانحطت رتبة الخلافة جدا » (٢٢) ، ويقول ابن طباطبا عن هذا الخليفة : « روكا أمره ضعيفا » (٢٣) ؛ أما أبو الفدا فيقول : « وازداد أمر الخلافة ادبارا ولم يبق له من الأمر شيء ، وتسلم نواب معز الدولة العراق بأسره ، ولم يبق في يد الخليفة غير ما أقطعه معز الدولة للمخليفة مما يقوم ببعض حاجته » (٢٤) ، ويقول ابن العبري : « وازداد أمر الخلافة ادبارا ولم يبق للمخليفة وزير وإنما كان له كاتب يدبر أقطاعه وأخراجاته ، وبالجمل لم يبق ربيد المطيع إلا ما أقطعه معز الدولة مما يقوم ببعض حاجاته » (٢٥) ، ويشير في ذلك ابن كثير

= ويقول آدم متر « في القرن الرابع ظهرت عادة سمل الخلفاء للحيلولة دون توليهم منصب الخلفاء احتذاء لعادة الروم البيزنطيين من قبل » . متر : الحضارة الإسلامية ج ٢ ص ١٩٧ .

AMIR Ali, Ibid, P. 303

(٢٠)

(٢١) مسكوية نجارب الأمم ج ٢ ص ١٠٦ .

(٢٢) الذهبي : دول ، لاسلام ج ١ ص ٢٠٨ ، وانظر حسن إبراهيم : تاريخ الاسلام السياسي ج ٣ ص ٦٣ .

Arnold, the Caliphate, P. 62

(٢٣) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٨٩ .

(٢٤) أبو الفدا : المختصر ج ٢ ص ٩٤ وانظر : ابن الوردي : تنمة المختصر ج ٢ ص ٢٧٩ .

(٢٥) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ١٦٧ .

ثم يقول : « وانما موارد الدولة ومورد المملكة ومصدراها راجع الى معز الدولة » (٣٦) .

اما المسعودى فيقول : « وغلب على الامر ابن بويه الديلمى والمطيع فى يده لا امر له ولا نهى ولا خلافة تعرف ولا وزارة تذكر » (٣٧) ويشاركة فى هذا المقرئى فيقول عن المطيع : « ليس له سوى الاسم ، والمدبر للامور معز الدولة ، وقد فرض لنفقة المطيع فى كل يوم مائتى دينار » (٣٨) ، ويفصل ابن الاثير الامر فيقول : « وازداد امر الخلافة ادبارا ولم يبق لهم من الامر شئ البتة ، وقد كانوا يراجعون ويؤخذ امرهم فيما يفعل والحرمة قائمة بعض الشئ فلما كان أيام معز الدولة زال ذلك جميعه » (٣٩) .

ويريحنا ابن الاثير من مشقة التفكير فى الاسباب التى دفعت معز الدولة الى هذا السلوك مع الخلفاء العباسيين حيث يقول : « وكا من أعظم الاسباب فى ذلك أن الديلم يتشيعون ، ويغالون فى التشيع ، ويعتقدون أن العباسيين قد غصبوا الخلافة وأخذوها من مستحقيها ، فلم يكن عندهم باعث دينى يحثهم على الطاعة ، حتى لقد بلغنى أن معز للدولة استشار جماعة من خواص أصحابه فى اخراج الخلافة عن العباسيين ، والبيعة للمعز لدين الله العلوى أو لغيره من العلويين ، فكلهم أشار عليه بذلك ماعدا بعض خواصه فانه قال : ليس هذا برأى ، فانك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة ، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ، ومتى اجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته فلو أمرهم بقتلك لفعلوه فأعرض عن ذلك » (٤٠) .

على أننا نرى الخليفة المطيع العوبة فى يد معز الدولة فى معارك

-
- (٢٦) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٢١٢ .
(٢٧) المسعودى مروج الذهب ج ٤ ص ٣٧٢ .
(٢٨) المقرئى : السلوك ط ق ١ ص ٣٨ ، ٣٩ .
(٢٩) ابن الاثير : الكامل ج ٦ ص ٣١٥ .
(٣٠) ابن الاثير : نفس المصدر ج ٦ ص ٣١٥ وانظر ، جمال سرور : النفوذ الفاطمى فى بلاد الشعر والعراق ص ٨٧ .

معز الدولة التي كان يحاول بها تثبيت أقدام البويهيين في العراق^(٣١) ، وفي هذا المحال نرى معز الدولة يستصحب الخليفة المطيع معه في حربه مع ناصر الدولة بن حمدان سنة ٣٣٤هـ/٩٤٦م تلك الحرب التي دارت في بعض أحيائها ضد معز الدولة ، وأن تمكن في النهاية من تحقيق النصر ، وأعاد الخليفة بعد ذلك الى داره في المحرم سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م بعد أن استوثق منه^(٣٢) .

وتكرر امر اخراج المطيع مع معز الدولة في نفس سنة ٣٣٥هـ ، عندما كان معز الدولة يحارب أبا القاسم عبد الله بن عبد الله البريدي والى البصرة ، وتمكن معز الدولة من هزيمة أبا القاسم الذي فر الى هجر ملتجئاً الى القرامطة^(٣٣) .

وفي البصرة خلف معز الدولة الخليفة المطيع واتجه للقاء أخيه عماد الدولة بأرجان ، وبعد انتهاء زيارة معز الدولة لعماد الدولة عاد الى بغداد وعاد المطيع أيضا اليها^(٣٤) .

ومما يدل على ما وصل اليه حال المطيع لله مع بنى بويه ما قاله عندما أغار الدمستق^(٣٥) ملك الروم على بعض بلاد الاسلام في جموع كثيرة سنة ٣٦٢هـ/٩٧٣م وتمكن من دخول نصيبين واستباحتها مدة

(٣١) يذكرنا ذلك بالخليفة الراضى بالله الذي كان العوية في يد محمد بن رائق أمير أمراءه الذي أخرجه معه الى واسط لمحاربة أبا عبد الله البريدي صاحب الأهواز ، ثم في يد يحكم أمير الأمراء الجديد الذي سيره معه لحرب محمد بن رائق أنظر كتابنا الخلافة العباسية في العصر التركي الأول ص ١٤٧ .

(٣٢) ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٣٢٣ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٩٥ ، مسكوية : تجارب الأمم ج ٢ ص ١٠٥ .

(٣٣) ابن الأثير : نفس المصدر ج ٦ ص ٢٢٥ ، مسكوية : تجارب الأمم ج ٢ ص ١١٢ .

(٣٣) ابن الأثير : نفس المصدر ج ٦ ص ٢٢٥ ، مسكوية : تجارب الأمم ج ٢ ص ١١٢ .

(٣٤) ابن الأثير : نفس المصدر ج ٦ ص ٢٢٦ ، مسكوية : تجارب الأمم ج ٢ ص ١١٣ .

(٣٥) دمستق : كلمة لاتينية Domesticus وهو قائد جيوش الروم . ابن العبري : مختصر تاريخ الدول حاشية رقم ١ ص ١٦٩ .

خمسه وعشرين يوما ، مما دفع بقدم المستغيثين الى بغداد حيث ضجوا في الجوامع ، « وكسروا المنابر » ومنعوا من الخطبة ، وصاروا الى دار المطبع ، وخلعوا بعض شبابيكها ، وفي نفس الوقت توجه بعض من اهل الدين والعلم الى عز الدولة بختيار^(٣٦) (٣٥٦ - ٣٦٢ هـ) ، ولاموه على توجهه بالحرب الى غير اعداء المسلمين ، وأنه يصرف زمائه الى القبض على ارباب الدواوين .

وكان من الغريب أن ينوجه ابو الفضل الشيرازي وزير البويهيين الى المطيع الله قائلا : « يجب أن تعطى ما تصرفه في نفقة المجاهدين » ، فقال المطيع له : « انما يجب على ذلك اذا كنت مالكا لأمري ، وكانت الدنيا في يدي غير القوات الذي يقصر عن كفايتي فما يلزمني غزو ولا حج ، وانما لي منكم الاسم على المنبر فان آثرتم أن اعتزل اعتزلت »^(٣٧) .

وهكذا حدد المطيع بنفسه كل ما كان للخليفة في عهد بني بويه « الاسم على المنبر » الذي يسكن به بنو بويه الرعية^(٣٨) .

ومع ذلك فان المطيع اضطر امام تهديد بختيار الى أن يلتزم بدفع اربعمائة ألف درهم اضطر من أجل الحصول عليها الى أن « باع أنقاض داره وثيابه »^(٣٩) ، وتنازع بين الناس أو الخليفة قد صودر^(٤٠) .

ولم يستخدم بختيار هذه الأموال في محاربة الروم بل انه صرفها في مصالحه الخاصة^(٤١) ، في حين تمكن هراود غلام أبي الهيجاء بن

(٣٦) خلف أباه عز الدولة في وظيفة أمير الأمراء بعد وفاة معز الدولة سنة ٣٥٦ هـ .

Amir Ali, A Short History of the Saracenes, P. 304.

مسكوية : تجارب الأمم ج ٢ ص ١٣٢ .

(٣٧) الهمزاني : تكملة تاريخ الطبري ص ٤٢٨ وابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ٤٥ ، أبو الفدا : المختصر ج ٢ ص ١١٢ .

(٣٨) محمد حلمي أحمد : الخلافة والدولة في العصر العباسي ص ١٧٢

(٣٩) الهمزاني : المصدر السابق ص ٤٢٨ ، وابن الأثير : المصدر السابق ج ٧ ص ٤٥ ، أبو الفدا : المصدر السابق ص ١١٢ .

(٤٠) ابن الأثير : نفس المصدر ج ٧ ص ٤٥ .

(٤١) ابن الأثير نفس المصدر ج ٧ ص ٤٥ .

حمدان وأبو القاسم هبة الله بن ناصر الدولة من هزيمة الدمستق وأخذه أسيراً^(٤١) .

وثمة مثل آخر يدل على مدى ما وصل اليه مركز الخليفة المطيع في الصراع الذي دار بين عز الدولة بختيار وسبكتكين الحاجب^(٤٢) حيث تمكن سبكتكين من حصار دار عز الدولة بختيار مدة يومين^(٤٣) ، وأنزل منها أهل عز الدولة ونهب ما فيها وأحدرهم الى دجلة والى واسط منفين ، ووصل الأمر به الى العزم على ارسال الخليفة معهم ، فتوصل اليه الخليفة فعفا عنه سبكتكين وتركه بداره^(٤٤) .

فاذا اضيف مرض الخليفة المطيع بالفالج في سنة ٩٧١/٥٣٦٠م حتى ان جانبه الايمن استرخى وثقل لسانه^(٤٥) ، لم يكن من صالحه بعد ذلك أن يتمسك بخلافة لا يناله منها الا الهوان فاستجاب لسبكتكين حين دعاه الى خلع نفسه من الخلافة فخلع نفسه منها ليسلمه سبكتكين بعد ذلك الى ابنه الطائع^(٤٦) (٣٦٣ - ٣٨١/٥٧٣ - ٩٩١م) وذلك في ١٣ ذى القعدة سنة ٣٦٣/٥٣٨١م ، وكان صورة كتاب الخلع الذي كتبه المطيع : « هذا ما أشهد على متضمنة أمير المؤمنين المطيع لله بن المقتدر بالله حين نظرت لدينه ورعيته ، وشغل باله الدائمة عما كان يزاعيه من الأمور الدينية اللازمة ، وانقطع افصاحه عما يجب عليه في ذلك ، فرأى اعتزال ما كان عليه من هذا الأمر وتسليمه الى ناهض به قائم

(٤١) ابن الأثير . نفس المصدر ج ٧ ص ٤٥
(٤٢) أصل سبكتكين من مماليك عز الدولة الأتراك وخلع الخليفة الطائع الامارة عليه بدلا من استاذة عز الدولة . أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٠٨ .
(٤٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٧٥ .
(٤٤) الهمزاني : تكملة تاريخ الطبري ص ٤٢٢ ، ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ١٧٠ ، ابن العماد الجبلي . شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٨ وانظر

Amir Ali, A Shirt History . P. 304

(٤٥) هو عبد الكريم بن الفضل المطيع لله بن جعفر بن المقتدر بن المعتضد وكنيته الطائع . المختصر ج ٢ ص ١٠٣ ، ابن العبري : مختصر الدول ص ١٧١ .

H. Ibrahim, Islamic and History Culture, P. 207

بحقه ممن يرى له الرأى عقده له وأشهد بذلك طوعا» (٤٦) .
ولا يمكن اعتبار هذا الخلع جاء نتيجة لضيق من تصرفات الخليفة
أو خوف من سطوته وإنما هو أمر فرضته دواعى المرض .

وهكذا انتهت فترة خلافة المطيع التى كان فيها لبنى بويه اسما على
مسمى .

٣ - آلت الأمور الى الخليفة الطائع لله ، ولم يكن حاله مع بنى بويه
بأحسن من المستكفى أو المطيع ، فقد سيطر عليه عضد الدولة بن بويه
أعظم رجالات بنى بويه (٣٦٧ - ٣٧٢هـ) حتى ان الأمر كله كان له ،
وحتى ان الطائع أمر بان تضرب على بابيه الدبابد فى وقت الصبح
والمغرب والعشاء وأن تخطب له على المنابر قال أبو المحاسن : « وهذا
أول ملك دقت الطبلخانة (٤٧) على بابيه ، وصيار ذلك عادة من
يومئذ » (٤٨) وأضاف : « وقال الحافظ أبو الفرج بن جوزى : « وهذان
أمران لم يكونا من قبله ولا أطلقا لولاية العهد ، ولا يخطب بحضرة
السلطان إلا له ، ولا ضربت الدبابد الا على بابيه ، وقال الحافظ
أبو عبيد الله المذهبى : « وما ذاك الا لضعف أمر الخلافة » (٤٩) .

وفى مكان آخر يبين أبو المحاسن اتساع سلطان عضد الدولة حيث
يقول : « وبلغ سلطانه من سعة المملكة والاستيلاء على الممالك ما لم
يبلغه أحد من بنى بويه ، ودانت له البلاد والعباد ، وهو أول من خوطب

(٤٦) ابن الأثير : الكامل ج٧ ص ٥٣ هامش ١ ، قال أبو المحاسن :
« وانقطع المطيع بداره ، وكان يسمى بعد ذلك الشيخ الصالح
الى أن جاءت فى سنة ٣٦٤ هـ » . النجوم الزاهرة ج٤ ص ١٠٥ .

(٤٧) الطبلخاناه : كلمة فارسية معناها فرقة الموسيقى السلطانية
أو بيت الطبل ويشتمل على الطبول والأبواق . البقلى :
مصطلحات صبح الاعشى ص ٢٢٨ .

(٤٨) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج٤ ص ١٣٢ .
وانظر : السلوك : ط ١ ص ٤٧ .

(٤٩) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج٤ ص ١٣٢ .

بالمملك شاهنشاه في الاسلام ، وأول من خطب له على منابر بغداد بعد الخلفاء ، وأول من ضربت الدبابد على باب داره « (٥٠) » .

ويبين أبو المحاسن تدرج أسر الطائعات مع عضد الدولة حيث يقول عند خروج الخليفة لتلقى عضد الدولة اذا خرج من بغداد وعاد اليها : « ولم يكن ذلك بعادة أن الخليفة يلقى أحدا من الأمراء » ثم أضاف « قلت : وهذا كان أولا ، وأما في الآخر فان الطائع كان قد بقى تحت أوامر عضد الدولة كالأسير » (٥١) .

وقد بلغ من قوة عضد الدولة وضعف المطيع أن تم الزواج بين الطائعات

وابنة عضد الدولة ، ذلك الزواج الذي كان له هدفه من كلا الطرفين ففي حين كان يرمى الطائعات إلى التقوى بعضد الدولة وكف أذاه عنه ، كان عضد الدولة يرمى من وراء ذلك الزواج أن تلد ابنته ولدا ذكرا فيجعله ولي عهده ، فتكون الخلافة في ولد لهم فيه نسب (٥٢) .

هذا ، وقد تكرر مع الطائعات ما سبق أن حدث مع المستكفي وذلك في عهد بهاء الدولة أبو نصر فيروز البويهى (٣٧٩ - ٤٠٥ هـ / ٩٨٩ م - ١٠١٨ م) الى حين احتاج بهاء الدولة الى الاموال نتيجة لحروبه مع الطامعين في منصبه من آل بويه وشعب عليه الجند ، فقبض بهاء الدولة على وزيره سابور ليستخلص منه مالا فلم يجد عنده ما يكفيه ، فأشار البعض عليه بالقبض على الطائعات حنفسه ليفوز بالكثير من المال ، فأرسل بهاء الدولة الى الطائعات يلتمس منه المثل بين يديه لتجديد الطاعة والولاء له ، فأذن له الخليفة في ذلك ، فلما دخل بهاء الدولة قبل الأرض ، وأجلس على كرسى ، ثم دخل بعض الديالة وتظاهر برغبته في تقبيل يد الخليفة ، فلما مد الخليفة يده له جذبه فأنزله عن سريرته ، والخليفة يقول : « انا لله وانا اليه راجعون » . وهو يستغيث فلا يلتفت اليه ، ثم أخذ ما في داره الى بهاء الدولة ونهبت دار الخلافة (٥٣) .

-
- (٥٠) أبو المحاسن نفس المصدر ج٤ ص ١٨٢ .
(٥١) أبو المحاسن : نفس المصدر ج٤ ص ١٣٨ .
(٥٢) انظر كتابنا : الزواج السياسى فى عهد الدولة العباسية ص ٧٣ .
(٥٣) ابن الأثير : الكامل ج٦ ص ١٤٨ .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل حمل الخليفة الطائع الى بهاء الدولة حيث أشهد فيها على نفسه بالخلع بعد خلافة دامت قرابة ثمانية عشر عاما تحت التسلط البويهى الكامل^(٥٤) ، وتولى الأمر من بعده الخليفة القادر بالله (٣٨١ - ٤٢٢ هـ / ٩٩١ - ١٠٣١ م) .

وذكر مسكويه أمر القبض على الخليفة الطائع دون وصف طريقة القبض عليه وقال : « فاما شرح ما جرت عليه الحال يوم القبض فلم نذكره اذ لا سياسة فيه فتحكى ولا فضيلة فيه فتروى »^(٥٥) ، ثم أورد أبياتا للشريف الرضى الذى كان حاضرا آنذاك^(٥٦) .

وهكذا انتهى أمر الطائع على نفس الصورة التى انتهى اليها أمر المستكفى وبنفس التمثيلية التى جرت مع المستكفى بمواطاة بويهية ، وان لم ينله اذى من القادر كما سبق للمستكفى على يد المطيع ، وان قيل أنه « بقى مدة وقطع أذنه ، وبقي أياما وقطع رأس أنفه ومثل به »^(٥٧) .

وقد وصف المؤرخون مبلغ ما وصل اليه ضعف الخليفة الطائع ، فقال ابن الأثير : « ولم يكن له من الحكم فى ولايته ما يعرف به حال يستدل به على سيرته »^(٥٨) .

وقال ابن طباطبا : « وفى أيامه قويت شوكة بنى بويه »^(٥٩) .

اما المقرئى فيقول : « فمكث الطائع سبع عشرة سنة وتسعة أشهر

(٥٤) الفارقى : تاريخ الفارقى ص ٦٤ ،

Amir Ali, A Short History of the Saracenes, P.305

(٥٥) مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ٢٠١ .

(٥٦) قال الشريف الرضى :

من بعد ما كان رب الملك مبتسما الى أدينه فى النجوى ويدنينا
أمسيت أرحم من أصبح أعبطه لقد تفارب بين العر والهوى
ومنظر كان بالسراء يضحكنى يا قرب ما عدا بالضراء بيكنى
هيهات أغتر بالسلطان ثانية قد ضل ولاج أبواب السلاطين
تجارت الأمم ج ٢ ص ٢٠٢ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ١٤٨ .

(٥٧) الفارقى : تاريخ الفارقى ص ٦٣ .

(٥٨) ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ١٤٨ ، أبو الفدا : المختصر ج ٢ ص ١٢٧

(٥٩) المقرئى : السلوك ط ١ ص ٣٩ .

وسنة أيام محكوما عليه بنى بويه ثم خلع وحبس فقيرا ذليلا حتى مات « (٦٠) » .

٤ - أما في عهد الخليفة القادر (٣٨١ - ٤٢٢ هـ / ٩٩١ - ١٠٣١ م) فقد استبد بالسلطة به أربعة من ملوك بنى بويه تلا أحدهم الآخر وهم بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة ولسطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة وشرف الدولة أبو على بن بهاء الدولة وجلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة ، ولم يكن للخليفة القادر سوى السلطان الروحي (٦٠) وتميز هذا العهد بأنه عهد اضطراب بين أهل البيت البويهى مما أضعف من سلطانهم وهدد البيت كله بالانحلال (٦١) .

وعلى ذلك يمكن القول بأن الخليفة القادر لم يكن يختلف وضعه عن من مضى قبله من الخلفاء مع سلاطين بنى بويه ، وإن كان ضعف البيت البويهى آنذاك أناح له شيئا من الكلمة والنفوذ (٦٢) .

٥ - ولم يقل اسبنداد بنى بويه في عهد القائم بالله بن القادر (٤٢٢ - ٤٤٤ هـ / ١٠٣١ - ١٠٥٥ م) عن من سبقه من الخلفاء (٦٣) ، وشهد عهده انحلال أمر الخلافة والسلطنة جميعا ببغداد (٦٤) .

ونرى بعد استعراض أحوال الخلفاء العباسيين في ظل البويهيين صدق ما قاله توماس أرنولد عن خلفاء هذه الحقبة بأنهم كانوا « لا قيمة لهم في الوقت الذى غدا غيرهم أكثر قوة ونفوذا ، وأصبحوا يديرون العالم الإسلامى من غير أن يشيروا أو يحفلوا بمن يدعى أنه أمير المؤمنين ، بل وفد أصبحوا العوبة في أيدي سلاطين بنى بويه ويجلسوهم على العرش ويعزلونهم متى شاعوا وشاعت أهواؤهم » (٦٥) .

(٦٠) Amir Ali, A Short History of the Saracenes, P.306

(٦١) الخضرى : محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ج٢ ص ٤٠٩ .

(٦٢) الخضرى : نفس المصدر ج٢ ص ٤٠٩ ، محمود شاكر : التاريخ الإسلامى (الدولة العباسية) ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

(٦٣) على إبراهيم : النظم الإسلامى ص ٨٩ : وقد شهد عهد القائم بدء

عصر نفوذ السلافة وامتد حكمة حتى سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٥ م .

(٦٤) الخضرى : المصدر السابق ج٢ ص ٤١٠ .

Arnold, The Caliphate, P. 68

(٦٥)

انسيادة الدينية والسياسية لبنى بويه :

لم يقف حد سيطرة البويهيين على الخلفاء العباسيين عند سلبهم سلطانهم والتحكم فيهم بل انهم أحبوا أن يكون لهم مثل ما للخلفاء من مظاهر السيادة الدينية والسياسية وفي هذا المجال نرى :

لقب الخليفة المستكفي أبناء بويه الثلاثة بالقب معز الدولة وعماد الدولة وركن الدولة^(٦٦) ، كما أن المستكفي كرم معز الدولة فأعطاه « الطوى والسوار وآلة السلطنة وعقد له لواء »^(٦٧) ، كما أمر أن تضرب القاب بنى بويه وكناهم على السكة^(٦٨) ويقول القلقشندي في هذا الخصوص « أن أول من نقش اسمه على الدنانير والدرهم مع الخلفاء معز الدولة بن بويه واخوته من الديلم القائمين على الخلفاء العباسيين ببغداد »^(٦٩) .

وفي عهد الخليفة الطائع خطب لعضد الدولة بن بويه في بغداد « ولم يكن قبل ذلك يخطب لأحد ببغداد »^(٧٠) ، وضرب على بابيه ثلاثة نوب وهذا أمر لم تجر به عادة من تقدمه ، ويقول مسكويه عن انخطبة لعضد الدولة وضرب النوب عند بابيه : « وهذان الأمران من الأمور التي بلغها عضد الدولة واختص بها دون من مضى من الملوك على قديم الأيام وحديثها »^(٧١) . وكان ضرب الدبابد والطبول من علامات سيادة الخليفة ببغداد^(٧٢) ، وقد أجاز الطائع لعضد الدولة ضربها ثلاث

(٦٦) ابن الأثير : الكامل ج٦ ص ٣١٤ ، ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٨٧

(٦٧) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٨٧ ، وانظر : جمال سرور : الحضارة الإسلامية ص ٥٧ .

(٦٨) ابن الأثير : المصدر السابق ص ٣١٤ ، ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ١٦٦ .

(٦٩) جمال سرور : الحضارة الإسلامية ص ٥٧ ، وانظر

Amir Ali, A Short History of the Saracenes, P.304

(٧٠) ابن الأثير : الكامل ج٧ ص ٩٠ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٤٠٧ .

(٧١) مسكويه : تجارب الأمم ج٢ ص ٣٩٦ .

(٧٢) سرور : الحضارة الإسلامية ص ٥٧ .

مرات يوميا في الصباح ثم المغرب ثم وقت العشاء (٧٣) .

قال ابن خلكان : « وهو أول من خطب بالملك في الاسلام ، وأول من خطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة ، وكان من جملة ألقابه « تاج الملة » » (٧٤) ، وقال المقرئ : « وضرب عضد الدولة أيضا على باب الطول ثلاث نوبات ولم تحر بذلك عادة من تقدمه ، ونعت الملك السيد شاهنشاه الأجل المنصور ، ولي النعم تاج الملة » (٧٥) ؛ ويروى ابو شجاع عن عضد الدولة نفسه قوله : « الأرض أضيئ عرضة من أن تسع ملكين » (٧٦) .

وقد بلغ عضد الدولة من علو الشأن درجة عالية بعد أن أضيف اليه لقب تاج الملة وذلك بعد أن عقد له الخليفة الطائغ الى جانب اللواء الأبيض الذي كان يمنح للأمراء الجيوش اللواء المذهب الخاص بولاية انعمود ، فكان أول من تلقب بلقبين من الأمراء (٧٧) ، وكان عضد الدولة نفسه هو الذي حملة على ذلك ، وقد فوض الخليفة عضد الدولة على الملاء مخالفا بذلك ما جرت به العادة من تقاليد الخليفة ، وفي ذلك يقول السيوطي : « وسأل عضد الدولة الطائغ أن يزيد في ألقابه تاج الملة ويجدد الخلع عليه فأجابته » ، ثم يذكر صيغة التفويض فيقول : « فقال له الطائغ : « وقد رأيت أن أفوض اليك ما وكل الله الى من أمور الرعية في شرق الأرض وغربها وتديرها في جميع جهاتها سوى خاصتي وأسبابي فتول ذلك » » (٧٨) .

وعندما آل الأمر الى صمصام الدولة في سنة ٣٧٣هـ / ٩٨٣م فإن الخليفة خلعه عليه الخلع السبع والعمة والسوداء وسوره وطوقه وعقد له لوائين ثم حمل صمصام الدولة على فرس بمركب من ذهب وقيد بين

(٧٣) مسكوية : المصدر السابق ج ٢ ص ٣٩٦ ، السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٤٠٧ .

(٧٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ٥١ .

(٧٥) المقرئ : السلوك ط ١ ص ٤٧ ، ٤٨ ، وانظر : ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٩٩ .

(٧٦) أبو شجاع : ذو تجارب الأمم ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٧٧) جمال سرور : الحضارة الإسلامية ص ٥٨ .

(٧٨) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٤٠٨ .

يديه مثله ، وقرىء عهده بتقليده الأمور فيما بلغت الدعوة من جميع الممالك وعاد الى داره ، وجددت له البيعة وأطلق رسومها وأقيمت الدعوة وغبرت السكة^(٧٩) .

ونرى الأمر يتكرر مع شرف الدولة أبى الفوارس شيرزىل بن عضد الدولة (٣٧٦ - ٣٧٩ هـ) حيث كتب الخليفة الطائع عهدا له ، وولاه ما وراء بابه ، وعقد له لوائين ولقبه شاهنشاه .

وبعد وفاة شرف الدولة بخمسة أيام ركب بهاء الدولة أبو نصر فيروز الى دار الخلافة ، فخلع عليه الخليفة الطائع ، ولقبه بهاء الدولة وضياء الملة ، وقرىء عهده بين يديه بالتقليد^(٨٠) ؛ كما خلع كذلك على صمصام الدولة بن عضد الدولة وعقد له لوائين وحمله على فرس ولقبه سمس الملة ، وأمر بقراءة عهده بتقليده ونقش اسمه على السكة^(٨١) .

وفي سنة ٣٨١هـ / ٩٩١م قلد الخليفة القادر بهاء الدولة ما وراء بابه بحضور الأشراف والقضاة والشهود^(٨٢) .

وفي سنة ٤٠٨هـ / ١٠١٧م عندما قدم سلطان الدولة بن بهاء الدولة الى بغداد ضرب الطبل في أوقات الصلوات الخمس ، وكان جده عضد الدولة - كما رأينا - يفعل ذلك في أوقات ثلاث صلوات^(٨٣) . وفي سنة ٤١٦هـ / ١٠٢٥م تولى جلال الدولة أبو طاهر (٤١٦ - ٤٣٥هـ / ١٠٢٥ - ١٠٤٤م) الذى لقب بعلم الدين سعد الدولة أمين الملة شرف الدولة ، وهو أول من لقب باللقاب الكثيرة^(٨٤) ثم طلب من الحليفة القادر أن بباع لابنى كاليجار ولى عهد ابنه سلطان الدولة الذى استخلفه بهاء الدولة عليهم ، فتوقف في الجواب ثم وافقهم على ما أرادوا وأقيمت

(٧٩) أبو تسجاع : ذ . نجارب الأمم ص ٨٤ .

(٨٠) Amir Ali, A Short History of the Saracenes, P.305

(٨١) ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ١٥٦ Amir Ali, Ibid, P. 305

(٨٢) أبو الفدا : المختصر ج ٢ ص ١٥٠ ، ابن الأثير : الكامل ج ٧

ص ٣٩٩ ويذكر ابن العماد أن الطبول ضربت في أوقات الصلوات

الخمس في سنة ٤٣٦هـ لابى كاليجار في بغداد ، وأنهالم تضرب

لاحد قبلة الا ثلاث مرات . ابن العماد : شذرات الذهب ج ٣

ص ٢٥٦ .

(٨٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٨ .

الخطبة للملك أبى كاليجار ، وقد لقب أبو كاليجار سلطان الدولة شاهنشاه عز الملوك^(٨٤) .

وفي سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٨م سأل جلال الدولة الخليفة القائم بأمر الله (٤٢٢ - ٤٤٧ / ١٠٣١م - ١٠٥٦م) ليخاطب بملك الملوك فامتنع ، ثم أجابه الى ذلك بعد أن أفتى الفقهاء بجواز ذلك اللقب ، وخطب لجلال الدولة بملك الملوك^(٨٥) .

وتكرر الأمر في سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م بعد وفاة أبى كاليجار وتولى أبى نصر خسرو الذى أحضر الجند واستحلفهم ، ثم راسل الخليفة القائم بأمر الله يطلب منه الخطبة له ، ويطلب منه تلقيبه بلقب « الملك الرحيم » ، وقد خطب القائم بأمر الله له وخلص عليه الخلع وطوقه وسوره ، ولكنه رفض تلقيبه بالملك الرحيم وقال : « لا يجوز أن يلقب بأخص صفات الله تعالى »^(٨٦) ، فأبى أبو نصر إلا أن يكون هذا لقبه فكان له ما أراد وسمى « الملك الرحيم »^(٨٧) ، وذلك أن الخليفة القائم كان مسلوب الارادة شأن من سبقه من الخلفاء مع بنى بويه^(٨٨) .

ومع أن الويهيين استولوا على كل ما للخلافة من سيادة وتلقبوا بأنفخم الألقاب فانهم تركوا للخلفاء مظهرهم الدينى باعتبارهم رؤساء المسلمين ، وكان هذا أمرا تحتمه الضرورة السياسية فهم شيعة في دولة سنية ، ولعل هذا ما عناه البيرونى المؤرخ حين قال : « ان الدولة والملك قد انتقل في آخر أيام المتقى ، وأول أيام المستكفى من آل العباس الى آل بويه ، والذي بقى في أيدي الدولة العباسية انما هو أمر دينى

(٨٤) المقربرى : السلوك ط في ١ ص ٤٩ .

(٨٥) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ١٦ ، أفتى بذلك القاضى أبو الطيب الطبرى والقاضى أبو عبد الله الصيرمى والقاضى ابن البيضاوى وأبو القاسم الكرخى وامنع من القضاء أبو الحسن الماوردى .

(٨٦) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٤٨

(٨٧) ابن كثير . البدايه والنهاية ج ١٢ ص ٥٧ وانظر : الخضرى : محاصرات تاريخ الأمم الاسلاميه ج ١٢ ص ٤١٢ .

Arnold · The Caliphate, P 68

(٨٨)

اعتقادي لا ملك دنيوى فالقائم ولد العباس الآن (أى فى عهده) هو رئيس الاسلام لا ملك « (٨٩) .

وقد كان عنصر اختيار البويهيين بارزا فى اختيار الخلفاء فلدى بيعه المطيع بايعه معز الدولة وسلم اليه المستكفى (٩٠) ، وعندما قبض بهاء الدولة على الخليفة الطائع فى سنة ٣٨١هـ كتب بهاء الدولة على لطائع كتابا بالخلع من الخلافة ، وأشهد عليه الأشراف وغيرهم وسلم الخلافة الى القادر بالله (٩١) ، وقد موه بهاء الدولة وأصحابه على الحاضرين عندما قيل على المنبر : « اللهم أصلح عبدك وخليفتك القادر بالله ولم يذكروا اسمه » (٩٢) .

أما بخصوص توليه القادر بالله - فى مرض موته - عهده لابنه القائم فإنه لا يعطى عصر تسلط البويهيين سمة التسائح فى اعطاء حق تولية العهد للخلفاء العباسيين اذ أن هذا الأمر قد تم سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م بالبويهيين قاب قوسين من انتهاء دولتهم على يد السلاجقة فى سنة ٤٤٧هـ .

وهكذا ، نرى أن البويهيين سلبوا الخلفاء كل سلطانهم وغلوا ايديهم وتحكموا فيهم خلعا وتولية ، ومن الغريب بعد ذلك أن يغبط هؤلاء الخلفاء لأن البويهيين كانوا يراعون مظاهر احترامهم فى الحفلات ، وأن الخليفة كان يستقبل السفراء ويلبس بردة النبى ﷺ ويضع أمامه مصحف عثمان توكيدا لسلطته الدينية (٩٣) . ولا عبرة لمثل ما أورده السبوطى عن تلك المظهرية الخلفية حيث بقول فى أحداث سنة ٣٦٩هـ / ٩٨٠م «ورد رسول العزيز صاحب مصر بعداد ، وسأل عضد الدولة الطائع أن يزيد فى ألقابه تاج الملة ويجدد الخلع عليه ويلبسه التاج فأجابه ؛ وجلس

(٨٩) جمال سرور : الحضارة الاسلامية ص ٥٩ .

(٩٠) الهمزاني : تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٥٥ ، ابن الأثير : الكامل ج ٦ ص ٣١٥ .

(٩١) ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ١٤٨ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٥٩ وانظر

Amir Ali, A Short History of the Saracenes, P. 305

(٩٢) ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ١٤٨ .

(٩٣) على أبراهيم : النظم الاسلامية ص ٩٠ .

الطائع على السرير وحوله مائة بالسوف والزينة ، وبين يديه مصحف عثمان وعلى كتفه البردة وببده القضب ، وهو متقلد سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وصربت ستارة بعثها عضد الدولة ، وسأل أن تكون حجابا للطائع حتى لا يقع عليه عين أحد من الجند قبله .

ودخل الأتراك والديلم ، وليس مع أحد منهم حديد ، ووقف الأشراف وأصحاب المراتب على الجانبين ، ثم أذن لعضد الدولة فدخل ، ثم رفعت الستارة وقبل عضد الدولة الأرض ، فارناع زياد القائد لذلك ، وقال لعضد الدولة : ما هذا أيها الملك ؟ أهذا هو الله ؟ فالتفت إليه وقال : هذا خليفة الله في الأرض « (١٢) » .

ثم ولعل توضيح ذلك المظهر الكاذب يوضحه السيوطي نفسه حين يقول : « انظر الى هذا الأمر ، وهذا الخليفة المستضعف الذي لم تضعف الخلافة في زمن أحد ما ضعفت في زمنه ، ولا قوى أمر سلطان ما قوى أمر عضد الدولة » (١٣) ، كما توضحه نهاية وصف ذلك المظهر الذي وصفه السيوطي حين انتهى ذلك الحفل الذي تجلت فيه أبهة الخلافة كما يقال بذلك التفويض الرسمي العلني من الخليفة والذي كان يعنى اعترافه المذل بأن هذا المظهر الكاذب هو كل ماله ولا شيء غيره ، انتهى الحفل بقول الخليفة لعضد الدولة : « قد رأيت أن أفوض اليك ما وكل الله تعالى الى من أمور الرعية في شرق الأرض وغربها وتديرها في جميع جهاتها سوى خاصتي وأسبابي ، فتول ذلك مستخيرا بالله » (١٤) .

ولعل الحقيقة الأصبغ تظهر عندما ساءت العلاقة بين عضد الدولة والطائع فقد أمر عضد الدولة بحذف اسم الطائع من الخطبة في بغداد وغبرها من المدن مدة شهرين كاملين ، وفي اجباره الخليفة على أن يأمر بضرب الدبابد أمام داره ثلاث مرات في اليوم متشبهها في ذلك بالخليفة نفسه ، ثم أخيرا في طريقة عزل الطائع المهينة .

ويتضح لنا من كل ما تقدم أن ما يقال عن أن الخلافة كان لها بهاؤها

(١٤) السيوطي : تاريخ الخلفاء ص ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

(١٥) السيوطي : نفس المرجع ص ٤٠٨ .

(١٦) السيوطي : نفس المرجع ص ٤٠٨ .

ورواؤها في عهد بنى بويه (٩٧) أمر يكذبه واقع العلاقة بين البويهيين والخلافة .

والحق أنه لم يبق شيء لم يغتصبه البويهيون من الخلفاء العباسيين الذين عاشوا في عهدهم سوى لقب الخلافة وما يتعلق به من مظهرية كاذبة .

وحتى فيما يتعلق بلقب الخلافة فقد سمت أطماعهم اليه عن طريق غير مباشرة فقد راودت الأحلام عضد الدولة إلى أن تكون الخلافة في ولد للبويهيين فيه نسب فتزوج الطائع من ابنته ويعبر ابن الأثير عن ذلك ويقول : « تجددت وصلة بين الطائع وبين عضد الدولة ، فتزوج الطائع ابنته ، وكان غرض عضد الدولة أن تلد ابنته ولدا ذكرا ، فيجعله ولي عهده فتكون الخلافة في ولد لهم فيه نسب » (٩٨) .

ولقد أعتبر بعض المؤرخين يوم دخول البويهيين إلى بغداد (٢١٠ جمادى الأولى سنة ٣٣٤ هـ) تاريخ الدور التالي للخلافة العباسية وهو تاريخ سقوط السلطان الحقيقي من أيديهم وصيرورة الخليفة منهم رئيسا دينيا لا أمر له ولا نهى ولا وزير وإنما له كاتب يدبر أقطاعاته وإخراجاته لا غير « (٩٩) وهو القول الصحيح .

-
- (٩٧) حسن إبراهيم : تاريخ الاسلام العباسي ص ٢٥٦ .
(٩٨) ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ١٠٢ ، وانظر : ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ١٧١ ، ١٧٢ ، وانظر زواج البويهيين السياسي في كتابنا : الزواج السياسي في عهد الدولة العباسية .
(٩٩) الخصري : محاضرات تاريخ الامم الاسلامية ج ٢ ص ٣٧٨ .

الفصل الثالث

محاولة

« السيطرة المذهبية على الدولة »

الفصل الثالث

محاولة

« السيطرة المذهبية على الدولة »

أشرنا فيما سبق الى أن البويهيين كانوا شيعة على المذهب الزيدى الذى قيض له الانتشار فى بلاد الديلم بدءا من فرار يحيى بن عبد الله الى تلك البلاد - بعد فشل ثورة محمد النفس الزكية - الذى تجح فى تكوين رأى عام شيعى ، ثم ارتبط أهل هذه البلاد كذلك فى احدى المراحل بثائر شيعى فى الرى هو الحسن بن زيد العلوى^(١) ؛ وكان لذلك الارتباط أثر أقوى فى نشر الاسلام بصغته الشيعية فى هذه المنطقة من الحركة الاولى^(٢) .

ورأينا داعية شيعى آخر يدخل بلاد الديلم ويقيم بها تحوا من اربع عشرة سنة هو الحسن بن على الملقب بالأطروش^(٣) الذى أعانه فى تلك البلاد بعض القادة المهرة من أمثال ما كان بن كالى الذى بدأ اتصال بى بويه به جنودا فى حيثه ثم قوادا .

ويتبين من هذا تأثر بنى بويه بتلك النشأة الشيعية الثورية^(٤) ، ولا غرو بعد ذلك أن يكون دحولهم الى بغداد بعقيدتهم فى عدم أحقية العباسيين^(٥) بالخلافة له من الآثار ما يمكن رصده :

كان أول مسلك فى هذا الاتجاه ما حاوله أو فكر فيه معز الدولة احمد بن بويه من نقل الخلافة العباسية الى البويهيين حيث كان ابويهيون « يتشيعون ويغالون فى التشيع ، ويعتقدون أن العباسيين

-
- (١) المقرئى : السلوك ط ١ ص ٤٣ .
 - (٢) محمد حلمى أحمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى ص ١٨٠ .
 - (٣) المقرئى : السلوك ط ١ ص ٤٣ .
 - (٤) قال ابن الوردى : « كانوا من المتوعلين فى الشيعة » تتممة المختصر ج ٢ ص ٣١٩ .
 - (٥) H. Ibrahim, Islamic and History Culture, P. 205

فد غصبوا الخلافة وأخذوها من مستحقيها » ، ويقول ابن الأثير :
« لقد بلغنى أن معز الدولة استشار جماعة من خواص أصحابه في اخراج
الخلافة من العباسيين والبيعة للمعز لدبن الله العلوى أو لغيره من
العلويين ، فكلهم أشار عليه بذلك ماعدا بعض خواصه فإنه قال : ليس
هذا براى : فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل
الخلافة ، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ، ومتى أجلسست بعض
العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته فلو أمرهم
بقتلك لفعلوه » (٦) ، فأعرض معز الدولة عن ذلك .

ويقول محمد بن عبد الملك الهمذانى : « وعزم معز الدولة على أن
يبايع أبا الحسن محمد بن يحيى الزيدى العلوى ، فمنعه الصيمرى من
ذاك ، وقال : « اذا بايعته استنفر عليك أهل خراسان وعوام البلدان ،
وأطاعه الديلم ، ورفضوك ، وقبلوا أمره فيك ، وبنو العباس قوم
منصورون ، تعتل دولتهم مرة وتصح مرارا ، وتمرض تارة وتستقل
أطوارا ، لأن أصلها ثابت وبنيانها راسخ » (٧) .

ويبدو أن معز الدولة كان على وشك أن يفعل ذلك بعد حلع
المستكفى ، ولكنه أخذ ببصيحة حطائه فلم يقبل (٨) ، ومن ثم نقل
الخلافة الى أبى القاسم الفضل بن المقتدر بالله الذى تلقب بالمطيع ، وقد
بين ابن كثير دافع معز الدولة وراء ذلك فقال « فلما فهم ذلك صرفه عن
رأيه الأول وترك ما كان عزم عليه للدنيا لا لله عز وجل » (٩) .

والحق أنه لو أقدم معز الدولة على نقل الخلافة الى الفاطميين
لارتكب خطأ فى حق بنى بويه كان يصعب اصلاحه ، ومن ثم فإن رأى
من أشاروا عليه بعدم فعل ذلك كان على درجة كبيرة من الصحة بالنسبة
للبيهيين (١٠) .

(٦) ابن الأثير : الكامل ج٦ ص ٣١٥ .

(٧) الهمزائى : تكملة تاريخ الطبرى ص ٣٥٥ ، حسن ابراهيم :
الفاطميين فى مصر ص ١٠٥ .

(٨) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى ج٣ ص ٦٣ وانظر
Islamic and History Culture, P. 205

(٩) ابن كثير : البداية والنهاية ج١١ ص ٢١٣ .
Islamic and History Culture, P. 206

(١٠)

وتحكم معز الدولة في دولة المطيع ، وكان يريد طبع الدولة بالمذهب الشيعي. ويناصر الشيعة مع أنه يحكم في ظل خليفة سني ، وكان موقفه لمؤيد للشيعة يظهر في وقوفه معهم ضد أهل السنة كما يتضح فيما يأتي:

١ - في سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م أبلغ الوزير أبو محمد الحسن المهلبى (١١) بموت رجل في بغداد كان يدعى حلول روح أبي جعفر محمد بن علي ابن أبي القراقرفيه ، وأن له أتباعا جنى منهم أموالا كثيرة ، وأن هؤلاء الأتباع يعتقدون بريوبيته ، وأن أرواح الأنبياء والصديقين حلت فيهم ، وكان من جملة أتباع هذا الرجل شاب صغير يدعى أن روح علي بن أبي طالب حلت فيه ، وامرأة تسمى فاطمة تدعى حلول روح فاطمة فيها ، وخادم لى بسطام يدعى أنه ميكائيل .

وكان المهلبى قد أساء اليهم واستعمل معهم الشدة وصر بهم ، فأمر معز الدولة بإطلاق سراحهم (١٢) ، وقد علل ابن كثير تصرف معز الدولة هذا وعلق عليه بقوله : « وقد كان معز الدولة بن بويه يحب الرافضة ، فبحه الله » (١٣) .

وقد شعر الشيعة بهذا التعاطف البويهي فاستغلوه أسوا استغلال لاسيما وهم يدركون كم هي قبضة البويهيين قوية على الخلافة والخليفة ، فأخذوا في سب بعض الصحابة ، وكان من ذلك ما ذكره ابن الأثير في أحداث سنة ٣٥١هـ / ٩٦٢م وكان صورة سب هؤلاء الشيعة المتعصبين على النحو : « لعن الله معاوية بن أبي سفيان ، ولعن من غصب فاطمة فدكا ، ومن منع أن يدفن الحسن عند قبر جده عليه السلام ، ومن نفى أبا ذر الغفارى ، ومن أخرج العباس من الثورى » (١٤) .

(١١) مرجع سبق ذكره .

(١٢) ابن الأثير : الكامل ج٦ ص ٣٣٩ .

(١٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج١١ ص ٢٢٤ .

(١٤) وكانوا يقصدون بمن غصب فاطمة حقها أبا بكر ، ويمس أخرج العباسى من الثورى عمر ، ويمس نفى أبادر عثمان ، ويمس مع دهن الحس عند جده مروان بن الحكم . ابن كثير ج١١ ص ٢٤٠ .

ويجعل ابن الأثير أن هذا الأمر تم بأوامر من معز الدولة نفسه فيقول ويشير إلى ضعف الخليفة : « فأما الخليفة فكان محكوما عليه لا يقدر على المنع ، وأما معز الدولة فبأمره كان ذلك » (١٥) .

(١) وقد قام أهل السنة من جانب آخر بمحو هذه الكتابات في أثناء الليل فلم توجد في صباح اليوم الثاني ؛ مما ألم معز الدولة حيث اعتبر فعل أهل السنة هذا تحديا لارادته ، وصمم على إعادة كتابة ما محى ، فنصحه الصيمري الوزير بالاحتياط في صيغة اللعن فكتب مكان ما محى : « لعن الله الظالمين لآل رسول الله ﷺ وان ذكر في اللعن معاوية بن أبي سفيان » (١٦) .

ولا شك أن الصيغة الجديدة مع ما تضمنته ممن يريد أهل الشيعة سيه فانها لا تصدم مشاعر أهل السنة فمن الذي يرفض أن يلعن الله ظالمى آل رسول الله ﷺ ؛ ولذلك فإن ابن كثير يجعل ما كتب من فعل أهل السنة أنفسهم (١٧) ، ثم يعقب قوله بسب معز الدولة ومن شايعه فيقول : « قبحه الله ، وقبح شيعته من الروافض ، لا جرم أن هؤلاء لا ينصرون » (١٨) .

ولاشك أن معز الدولة كان ينحو بهذا المنحى طريقا وعرة تفتح أبواب الفتنة على مصراعيها بين السنة والشيعة ، مع أنه بحكم موقعه في الدولة كان عليه اخماد الفتن لا ايقاظها .

وعمل معز الدولة من ناحية أخرى على احياء المناسبات الشيعية والاحتفال بها على نحو لم يحدث من قبل دون تبصر بما يمكن أن تنتجه من ثمار سيئة ؛ فأمر في سنة ٣٥١هـ / ٩٦٢م بالاحتفال بيوم العاشر من

(١٥) ابن الأثير : الكامل ج٧ ص٤ ، الذهبى : دول الاسلام ج١ ص٢١٧ .

(١٦) ابن الأثير : الكامل ج٧ ص٤ ، الذهبى : دول الاسلام ج١ ص٢١٧ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج٣ ص٣٣٣ .

(١٧) ابن كثير : البداية والنهاية ج١١ ص٢٤٠ .

(١٨) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج٣ ص٣٣٤ ،

Amir Ali, A Short History , P. 303

المحرم وهو اليوم الذى قتل فيه الحسين بن على^(١٩) ، وفى هذا الشأن أمر بأن يغلق الناس حوانيتهم فى هذا اليوم وأن يبطل البيع والشراء ، وكانت مظاهر الاحتفال تتضمن اظهائ البكاء وخروج النساء منتشرات الشعور ، مسودات الوجوه يلطمن فى الشوارع على الحسين رضى الله عنه^(٢٠) .

وكانت البداية باحياء هذه المناسبة سببا فى استمرارها فيما تلا ذلك من سنوات ، خاصة وأن أهل السنة كانوا يستشعرون قوة الشيعة بآل بويه الأقوياء أنصارهم ، بينما يستشعرون ضعفهم بخليفة البلاد السنى الذى لا يملك من أمره شيئا^(٢١) . وقد استبشع أبو المحاسن ما بدا به معز الدولة من هذه العادة خاصة وأنه صار القدوة فى ذلك لمن تلاه من بنى بويه فقال : « وهذا أول يوم وقع فيه هذه العادة القبيحة الشيعية ببغداد ، وكان ذلك فى صحيفة معز الدولة بن بويه ، ثم اقتدى به من جاء بعده من بنى بويه » ثم قال : « وكل منهم رافضى خبيث »^(٢٢) .

وكما أحيا معز الدولة مناسبة العاشر من المحرم أحيا مناسبة أخرى لم يكن يحتفل بها من قبل فى بغداد وهى عيد الغدير ، وذلك فى نفس عام ٣٥١هـ/٩٦٢م فى اليوم الثامن من ذى الحجة ، وذلك حيث يعتقد الشيعة أن الرسول ﷺ أوصى بالأمير من بعده لابن عمه على بن أبى طالب وقال « من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، وأخذل من أخذه ، وأدر معه الحق حيث دار » ، وجعل الرسول ﷺ منزلة على منه بمنزلة هارون من موسى ؛ وقد

-
- (١٩) الهمزاني : تكملة تاريخ الطبرى ص٣٩٧ ، ابن الاثير : الكامل ج٧ ص ٧ ، شذرات الذهبى ج٣ ص ٩ ، وانظر ما كتبه المقرئى عن مظاهر الاحتفال بهذا اليوم عند الفاطميين : الخطط ج٢ ص ٤٩٠ .
- (٢٠) ابن العماد الجنبلى : شذرات الذهب ج٣ ص ٩ فى أحداث ٣٥٢هـ .
- (٢١) ابن الاثير : الكامل ج٧ ص ٧ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج١١ ص ٢٤٣ .
- (٢٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج٣ ص ٣٣٤ .

أمر معز الدولة في هذا اليوم بإظهار الزينة في بغداد ، وأشعال النيران بدار الشرطة ، وأبواب الأمراء اظهارا للفرح بهذا اليوم ، وأمر بفتح الأسواق بالليل كما يفعل في ليالى الأعياد . وضربت الدبابد والبوقات (٢٣) .

ويقول ابن كثير في هذه الاحتفالات مستبشعا اياها « فكان وقتا عجيبا مشهودا ، وبدعة شنيعة ظاهرة منكرة » (٢٤) .

ويقول الذهبي: «وصلوا بالصحراء صلاة العيد ودقت الكوسات» (٢٥) ، ويضيف : « فنعوذ بالله من الضلال » (٢٦) .

ويرجع ابن كثير ما حل بالمسلمين على يد ملك الروم نقفور فوقاس حتى توفي في سنة ٣٥٢هـ/٩٦٤م في بعضه الى فساد العقيدة بما أظهره الشيعة حيث يقول عن نقفور : « استحوذ في أيامه لعنه الله على كثير من السواحل ، وأكثرها انتزعها من أيدي المسلمين قسرا ، واستمرت في يده قهرا ، وأضيفت الى مملكة الروم قدرا ؛ وذلك لتقصير أهل ذلك الزمان ، وظهور البدع الشنيعة فيهم ، وكثرة العصيان من الخاص والعام منهم وقشو البدع فيهم ، وكثرة الرفض والتشيع منهم ، وقهر أهل السنة بينهم ، فلذلك أدبل عليهم أعداء الاسلام ، فانتزعوا ما بأيديهم من البلاد من الخوف الشديد ونكد العيش والفرار من بلاد الى بلاد فلا يبيتون ليلة الا في خوف من قوارع الأعداء وطوارق الشر المترادفة » (٢٧) .

(٢٣) ابن الأثير : نفس المصدر ج٧ ص ٨١٧ ، ابن كثير نفس المصدر ج١١ ص ٣٤٣ ، وانظر طريقة الاحتفال بعيد الغدير لدى

الفاطميين في المقرئى : الخطط ج٢ ص ٤٩١ .

(٢٤) ابن كثير : البداية والنهاية ج١١ ص ٢٤٣ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج٤ ص ٢٥ حاشية ٣ .

(٢٥) الكوسات : من رسوم السلطان وآلاته وهى صنوج من نحاس شبه التراس الصغير يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص ويتولى ذلك الكوس . البقل : مصطلحات ص ٢٩٠ .

(٢٦) الذهبي : دول الاسلام ج١ ص ٢١٩ .

(٢٧) ابن كثير : البداية والنهاية ج١١ ص ٢٤٣ .

ونحن نرى فيما يتبره ابن كثير في هذا الخصوص اشارة ذكية الى أهمية تماسك الجبهة الداخلية خاصة في اوقات الحروب .

ولو وقف الأمر عند حد الاحتفالات بالأعياد الشيعية ما مثل ذلك بالخطر ، ولكن الأمور تطورت الى الصدام بين السنة والشيعية بكل ما يعنيه ذلك من خطر انقسام الناس الى فريقين متقاتلين خاصة اذا أدركنا أن الجيش في العصر البويهى كان ينقسم الى ديالة شيعيين وأتراك سنيين في معظمه مما يجعل الأمور تهدد بحرب أهلية تاكل الأخضر واليابس .

ومن أمثلة هذه الصدامات المسلحة :

ما حدث في سنة ٣٤٣هـ/٩٥٤م حيث أحكم الشيعة سوق الكرخ^(٢٨) وكتبوا على الأبراج : محمد وعلى خير البشر ، فمن رضى فقد شكر ، ومن أبى فقد كفر » ، واندلعت الفتنة ونهبت ثياب الناس في الطرقات وغلقت الأسواق وانقسم الناس الى فريقين : أهل السنة الذين تجمعوا وتوجهوا الى دار الخلافة حيث وعدهم الخليفة بالخير ، والشيعة الذين ثاروا بالكرخ ، واشتبك الفريقان وأصاب نيران الفتنة الفريقين ففى حين قتل أهل السنة جماعة من الشيعة ، ونشوا بعض قبور الشيعة ، عمد الشيعة الى خان الحنفية فأحرقوه وقتلوا مدرسهم أبا سعد السرخسى^(٢٩) .

وفى سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥ وقع صدام عنيف فى يوم عاشوراء بين السنة وبرائا الذى هو « عش الروافض »^(٣٠) على حد قول ابن كثير ، وقتلوا والشيعة وهجم أهل السنة على الشيعة فى مسجدهم المعروف بمسجد بعض الشيعة به^(٣١) ، وهكذا لم تعد حتى لأماكن العبادة حرمتها امام هذا التعصب الأعمى بين طائفتين مسلمتين .

(٢٨) الكرخ : كرخ بغداد : وكان الكرخ أولا فى وسط بغداد والمحال حولها ، فأما الآن فهى محلة وحدها مفردة وسط الخراب وحولها محال الا أنها غير مختلطة بها . ياقوت : معجم البلدان ج٤ ص ٤٤٨ .

(٢٩) ابن العماد الجنبلى : شذرات الذهب ج٣ ص ٢٧٠ .

(٣٠) ابن كثير : البداية والنهاية ج١١ ص ٢٥٤ .

(٣١) ابن كثير نفس المصدر ج١١ ص ٢٥٤ .

وقد ظل الحال كذلك حتى تولى معز الدولة في ٣٥٦هـ/٩٦٦م . وهو يتحمل وزر هذه الفتن التي نشأت في عهده والتي استمرت من بعده .

الفتن بين السنة والشيعة بعد وفاة معز الدولة :

استمرت الفتن بين السنة والشيعة بعد وفاة معز الدولة بل وصار القوم من الفريقين يتفننون في اثاره الآخرين فنجد في احتفال عاشوراء في سنة ٣٦٣هـ/٩٧٣م قوما من أهل السنة أركبوا امرأة سموها عائشة تسمى بعضهم بطليحة وبعضهم بالزبير ، وقالوا نقاتل أصحاب على فثارت بذلك فتنة كبيرة راح ضحيتها الكثيرون من الطرفين ، ولاشك أن هذا تصرف أحمق لا يرجى من ورائه خير ، قال ابن كثير : « وكلا الفريقين قليل العقل أو عديمه بعيد عن السداد » (٣٢) .

وكان الأمر يحتاج الى بعض العقلاء الذين يحسمون هذه الأمور ويقفون منها موقف التشدد لصالح الأمة ، ولا يهم أن يكون من أى الفريقين ، وقد ظهر ذلك في الوزير السنى أبى الحسن على بن محمد الكوكبى الذى منع احتفال الشيعة في سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م ، وكان الأمر صعبا للقضاء على عادة استمرت ثلاثين عاما ، حيث سار الشيعة والديالمية الى باب بهاء الدولة البويهى وصمموا على تسليم الوزير اليهم ، وتهددوا بهاء الدولة نفسه بقولهم : « اختر أيها الملك بين بقائه أو بقائك » (٣٣) ،

وكانت فرصة لبهاء الدولة ينتصر فيها للشيعة ويتخلص من هذا الوزير الذى كان يسيطر عليه (٣٤) ، فقبض بهاء الدولة عليه وحبس أصحابه ، ثم قتل الوزير (٣٥) .

(٣٢) ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ٥١ ، وابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٧٥ .

(٣٣) الذهبى : دول الاسلام ج ١ ص ٢٣٣ .

(٣٤) الذهبى : نفس المصدر ج ١ ص ٢٣٣ .

(٣٥) قال ابن كثير أن بهاء الدولة خنقه في حبل ، ويقول أبو المحاسن أن بهاء الدولة سلمه الى من سقاه السم مرتين فلم يمت فخنقه بحبل الستارة حتى مات . البداية والنهاية ج ١١ ص ٣١١ ، النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٦٤ .

ولكن اذا كان هذا الوزير قد فشل فان عميد الجيوش (٣٦) نائب بهاء الدولة ووزيره تمكن في سنة ١٠٠٢/هـ ٣٩٣ - ١٠٠٣م من تخليص البلاد من ويلات هذه الفتن حين منع الشيعة من النوح على الحسين في يوم عاشوراء ، ومنع السنة من ناحية اخرى من النوع على مصعب بن الزبير ، فامتنع الفريقان ؛ ووقف عميد الجيوش بحزم لمنع هذه الفتن حتى انه كان اذا قبض على الثائرين من الشيعة او السنة يقرن العلوى بالعباسى ويفرقا نهارا بمشهد من الناس (٣٧) .

تفجر الفتنة من جديد وتدخل الخليفة :

ورغم ذلك فان الفتنة نشبت في سنة ١٠٠٧/هـ ٣٩٧م بعد فترة من الهدوء وكان سبب هذه الفتنة هذه المرة أن بعض الهاشميين قصد ابا عبد الله محرز بن النعمان المعروف بابن المعلم فقيه الشيعة في مسجده وتعرضوا له بالاذى وسبوه فثار أصحاب الرجل وانضم اليهم الشيعة من أصحاب الكرخ ، وتوجهوا الى دار القاضي ابي محمد الاكفانى والشيخ ابي حامد الاسفرايينى واحضر الشيعة مصحفا زعموا أنه مصحف عبد الله ابن مسعود ، وكان هذا المصحف مخالفا للمصاحف كلها (٣٨) ، مما دفع فقهاء السنة الى أن اجتمعوا لذلك ، وأشار الشيخ ابو حامد الاسفرايينى والفقهاء بان يحرق ذلك المصحف ، فغضب الشيعة غضبا شديدا ، وعمد بعضهم الى دار الشيخ ابي حامد الاسفرايينى يبغون اذياءه وهم يصيحون « يا حاكم يا منصور » ، يقصدون بذلك الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى بمصر . وغضب الخليفة القادر بالله (٣٨١ - ٤٢٢/هـ ٩٩١ - ١٠٣١م) لما حدث ومن تحيز بهاء الدولة لهم ، وأرسل رجاله لنصرة أهل السنة ، فحرقت دور كثيرة من دور الشيعة ، وأخرج فقيه الشيعة من بغداد بقصد نفيه ، وصدرت الأوامر من الخليفة بضرورة احترام اسم الشيخين وعلى رضى الله عنهم (٣٩) .

(٣٦) عميد الجيوش هو الحسن بن أبى جعفر ، وكان أبوه من

حجاب عضد الدولة وولاه بهاء الدولة الوزارة سنة ٣٩٢ هـ .

(٣٧) متز : الحضارة الاسلامية ج١ ص ٢٨٨ .

(٣٨) ابن كثير : البداية والنهاية ج١١ ص ٣٣٩ .

(٣٩) ابن كثير نفس المصدر ج١١ ص ٣٣٩ .

دوما. كان مثل هذا التدخل من الخليفة ليحدث في عهد معز الدولة مثلا ، ولكن الضعف آنئذ كان قد دب في بنى بويه حتى أننا لا نسمع عن تدخل مضاد من بهاء الدولة رغم خطورة ما أقدم عليه الخليفة .

. على أن الجدير بالذكر أن الخليفة القادر بالله كان يتمتع بشيء من القوة .، ولم يكن التعرض لفقهاء السنة وعلمائهم بالأمر الذى يمكن للخليفة السكوت عليه ؛ كما وأن بداء الشيعة باسم الحاكم الفاطمى كان يمثل خطرا ينبغى التصدى له ؛ خاصة وأن ميل البويهيين للفاطميين لم يكن خافيا عن الخلفاء العباسيين .

وكانما كانت هذه الحادثة تمثل حجر الزاوية للعودة الى الفتن من جديد حيث أراد الملوك البويهيون اثبات أنهم مازالوا على شيء من القوة فأذن فخر الملك وزير بهاء الدولة فى المحرم سنة ٤٠٢هـ / ١٠١١م (٤٠) للشيعة مرة أخرى بالاحتفال بيوم عاشوراء مما يعنى تفتجر الشر من جديد حتى قال ابن كثير يدعو على هذا الوزير : « فلا جزاء الله خيرا وسود الله وجهه يوم الجزاء ، انه سميع الدعاء » (٤١) . وكذلك فى سنة ٤٠١هـ / ١٠٤٩م حيث اشتد القتال بين الشيعة والسنة وناصر كل طائفة منهم طائفة من الجند « على اعتقادهم » (٤٢) ، بمعنى أن الديلم تاصروا الشيعة بينما ناصر الأتراك أهل السنة .

- وكان قمة الفتنة ما حدث فى سنة ٤٤٣هـ / ١٠٥١م حيث نشبت فتنة شديدة بين السنة والشيعة ، أحرق فيها ضريح موسى بن جعفر وقبر زبيدة - وقبور بنى بويه وما حولها ، وقتل الشيعة من أهل الكرخ مدرس الحنفية أبا سعد السرخسى وأحرقوا دور الفقهاء ، واشتد القتال بين السنة والشيعة (٤٣) .

ولعل من الطريف ما يروى من استغلال بعض الناس لهذا الخلاف

(٤٠) . وذلك بعد وفاة عميد الجيوش سنة ٤٠٢هـ الذهبى ج٣

ص ٢٤٠

(٤١) ابن كثير البدابة والنهاية ج١١ ص ٣٤٥ .

(٤٢) الذهبى ج١ ص ٣٥٩ .

(٤٣) ابن الوردى : تنمة المختصر ج٢ ص ٣٥٢ ، الذهبى ج١ ص ٢٦١

الجلاد بين السنة والشيعه ، فقد استغل شحاذان هذا الامر فوقفا على جسر بغداد يتوسل هذا بعلى ويتوسل ذلك بمعاوبة ويعطيها الناس على قدر ولائهم لهذا أو ذاك ، فاذا انصرفا آخر النهار اقتسما ما جمعا من النقود بالسوية لأنهما شريكان^(٤٤) .

ورغم سذاجة هذه القصة - التى لا نصدقها - فإنها تدل على أن الخلاف بين الفريقين كان أمرا يدعو الى التندر على مدى الانقسام الذى حدث فى صفوف الناس من الدهماء .

ووجه رفضنا للقصة أنها لو حدثت لحدثت المشاحنات بين الناس وربما تفجرت فتنة يتسبب فيها هذان الشحاذان الغبيان قد تودى بهما .

البويهيون والفاطميون والقادر :

كان البويهيون ما يزالون يأملون فى تقوية مركزهم وتنشيط دولتهم فأنشأوا فى سنة ٤٠٣هـ / ١٠١٢م نقابة للشيعه تقلد أمرها الشريف الرضى أبو الحسن الموسوى ، وقرىء تقليده نقيباً للطالبين فى سائر الممالك فى دار الوزير فخر الملك بمحضر من الأعيان ، وخلع عليه السواد (شعار العباسيين) ، « وهو أول علوى خلع عليه السواد »^(٤٥) .

ونسب الى الشريف الرضى أنه قال قصيدة أزعجت الخليفة القادر حيث تمنى فيها أن يكون عند الحاكم الفاطمى قال فيها :

أحمل الذل فى بلاد الأعا

دى وبمصر الخليفة العلوى

من أبوه أبى ومولاه مو

لاى اذا ضامنى البعيد القصى

لف عرقى بعرقه سيد النسا

س جميعا : محمد وعلى^(٤٦)

(٤٤) - الشريف الرضى ص ٥١ عن نشور المحاضرة للتنوخى .

(٤٥) ابن الوردى : نفس المصدر ج ٢ ص ٣٢١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٣٤٥ .

(٤٦) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ٤ ، الشريف الرضى ص ١٨

وكذب الشريف الرضى أن يكون قال هذا ، ولكن تكذيبه لا يكفى لدى ابن كثير فيقول : « والروافض من شأنهم التزوير » (٤٧) .

وقد راسل الخليفة أبا الشريف فى هذا ، فنصح الأب ابنه نصيحة يبعد بها نفسه عن الشر فقال له : « فاذا لم تكن قلتها فقل أبياتا تذكر فيها أن الحاكم بمصر دعى لا نسب له » ، فرفض الشريف ذلك ، واكتفى الخليفة القادر بأن أرسل الشيخ أبا حامد الاسفرايينى والقاضى أبا بكر الى الشريف الرضى وأبيه فحلفهما بالايمان المؤكدة أن مثل ذلك لم يحدث (٤٨) .

وكان النفوذ الفاطمى قد زاد فى العراق نتيجة لتشجيع بنى بويه للمذهب الشيعى الذى يدينون به ويدين به الفاطميون ، وكان البويهيون رغم حرصهم على الاحتفاظ بنفوذهم السياسى يؤثرون الفاطميين على العباسيين ، فتبودلت الرسائل الودية بين العزيز بالله الخليفة الفاطمى وبين عضد الدولة بن ركن الدولة (٣٦٧ - ٩٧٨/٣٧٢ - ٩٨٣ م) ، فاعترف عضد الدولة بامامة الخليفة الفاطمى (٤٩) .

وكان الخليفة العباسى الطائع على دراية بتبادل الرسائل بين العزيز وعضد الدولة ولكنه كان من الضعف بحيث لا يستطيع أن يفعل شيئاً (٥٠)

وتعاون الفاطميون والبويهيون للوقوف فى وجه الخطر البيزنطى المتمثل فى الغارات المتكررة لحدود كل من الدولتين العباسية والفاطمية ، وتبدو لنا صورة هذا التعاون فى كتاب بعث به العزيز بالله فى سنة ٩٧٩/٣٦٩ - ٩٨٠م الى عضد الدولة (٥١) والذى جاء فيه : « ان رسولك وصل الى حضرة أمير المؤمنين مع الرسول المنفذ اليك ، فادى ما تحمله من اخلاصك فى ولاء أمير المؤمنين ومودتك ومعرفتك بحق امامته ،

(٤٧) ابن كثير : نفس المصدر ج١٢ ص ٤ .
(٤٨) ابن كثير : نفس المصدر ج١٢ ص ٤ .
(٤٩) جمال سرور : النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق ص ٨٠ ، ٨١ .

(٥٠) الخربوطلى : مصر العربية الاسلامية ص ١٩٠ .
(٥١) Eney - de J'Isrl, Lart' Adud al Dawla t. 1 PP 217 - 219

ومحبتك لأبائه الطائعين الهاديين المهيدين ، فسر أمين المؤمنين بما سمعه عنك ، ووافق ما كان يتوسمه فيك وأنت لا تعدل عن الحق . . . وقد علمت ما جرى على ثغور المسلمين من المشركين وخراب الشام وضعف أهله وغلاء الأسعار ، ولولا ذلك نتوجه أمير المؤمنين بنفسه الى الثغور ، وسوف يقدم الى الحيرة ، وكتابه يقدم عليك من قريب ، فتأهب الى الجهاد في سبيل الله « (٥٢) » .

هذا ، وقد استغل الفاطميون ما ساد بلاد العراق وتمكنوا من نشر دعوتهم ، وكان من نتيجة ذلك أن دعى للخليفة العاطمي العزيز بالله في سنة ٣٨٢هـ / ٩٩٢م في الموصل على يد أميرها أبي الدرداء محمد بن المسيب بن رافع بن المقلد العقيلي (٥٣) .

كما استمال الحاكم بأمر الله قرواش بن المقلد (٥٤) الذي آل اليه أمر الموصل ، فخرج على طاعة القادر بالله العباسي في سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م ، وقام بنشر دعوته في الموصل والأنبار والمدائن والكوفة ، وأحل اسم الحاكم بأمر الله محل اسم الخليفة العباسي في الخطبة (٥٥) فأحضر الخطيب يوم الجمعة رابع المحرم سنة ٤٠١هـ / ١٠١٠م ، وخلع عليه قباء دبيقيا (٥٦) وعمامة صفراء وسراويل ديباج أحمر وخفين أحمرين ، وقلده سيفاً ، وأعطاه نسخة ما يخطب به ، فكان أول الخطبة : « الحمد لله الذي أنجلت بنوره غمرات الغضب ، وانهدت بعظمته أركان النصب ، وأطلع بقدرته شمس الحق من المغرب » (٥٧) .

-
- (٥٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج٤ ص ١٢٤ ، ١٢٥ .
 (٥٣) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ١٧٣ .
 (٥٤) قرواش بن مقلد بن المسيب العقلي ثاني أمراء العقليين الذي حكم الموصل وملحقاتها بين سنتي ٣٨٦ - ٣٨٩هـ ، ولقب قرواش بمعتمد الله ، أما أبوه مقلد أول أمراء هذه الاسرة فكان يلقب حسام الدولة . اتعاظ الحنفا ج٢ ص ٨٨ حاشية ١ ، وانظر :
 Muhammadam Dyanisties
 (٥٥) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ١٧٣ .
 (٥٦) نوع من الاقمشة الحريرية المزركشة التي كانت تصنع في دبيق إحدى البلاد المصرية المندثرة . البقلى : مصطلحات ص ١٣٣ .
 (٥٧) اتعاظ الحنفا ج٢ ص ٨٨ ، ونص الخطبة في النجوم الزاهرة ج٤ ص ٢٢٢ - ٢٢٧ ومما ورد في هذه الخطبة : « اللهم وصل على وليك الازهر ، وصديقك الاكبر ، على بن أبي طالب =

وكان لذلك أسوأ الأثر على الخليفة القادر ، ومع علمه بميل بهاء الدولة الى الحاكم بأمر الله ، وتأييده له فإنه راسله يبين له أبعاد الخطر الذى يتهدد الدولة ، ويطلب منه العمل على مناهضة نفوذ الفاطميين ، فأرسل بهاء الدولة الى عميد الجيوش بمائة ألف دينار ليتجهز بها لمحاربة قرواش ، فعاد قرواش عن رأيه ، وأمر بقطع الخطبة للحاكم فى بلاده وإعادها الى العباسيين بعد شهر واحد (٥٨) .

وقد لجأ الخليفة القادر بالله بعد أن تجلى له نجاح الدعوة الفاطمية فى بلاد العراق الى محاولة التشهير بهم ، وذلك بالطعن فى صحة نسبهم الى فاطمة الزهراء (٥٩) ، وأشهد على ذلك أكابر الفاطميين فوقعوا على محضر بذلك فى سنة ٤٠٢هـ / ١٠١١م ، وكان ممن وقع الشريف الرضى وأخوه المرتضى ، وقرئت نسخ من ذلك المحضر فى بغداد ، وكان مما ورد فيه طعنا على الفاطميين : « وهم منسوبون الى ديصان بن سعيد الحرّمى اخوان الكافرين وتطف الشياطين ، شهادة يتقربون بها الله ، ومعتقدين ما أوجب الله على العلماء أن ينشروه للناس ، فشهدوا جميعا أن الناجم بمصر وهو منصور ابن نزار الملقب بالحاكم ، حكم الله عليه بالبوار والخزى والنكال - ابن معد بن اسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد - لا أسعده الله - فإنه لما صار الى المغرب تسمى بعبيد الله وتلقب بالمهدى ، هو ومن تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس - عليه وعليهم اللعنة - أدعياء لا نسب لهم فى ولد على بن أبى طالب وأن ذلك باطل وزور ... » (٦٠) .

= أبى الخلفاء الراشدين المهديين ، اللهم وصل على السيبطين الطاهرين الحسن والحسين ، وعلى الأئمة الأبرار والصفوة الأخيار ، من أقام وظهر ومن خاف فاستتر اللهم اجعل فرامى صلواتك وزواكى بركاتك على سيدنا ومولانا امام الزمان وحصن الايمان وصاحب الدعوة العلوية ، عبدك ووليّك المنصور أبى على الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ، كما صليت على آبائه الراشدين » .

النجوم الزاهرة ج٣ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٥٨) ابن الأثير : الكامل ج٧ ص ٢٥٤ ، أتعاظ الحنفى ج٢ ص ٨٨ ،

ابن الوردي : تنمة تاريخ المختصر ج١ ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .

(٥٩) الخربوطلى : مصر العربية الاسلامية ص ١٩١ .

(٦٠) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج٤ ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

والحق أن ما جاء في محضر الطعن العباسي يكشف عن اضطرابه ،
فهو يفتقر الى البراهين ويعتمد على القدح والذم الذي دافعه
التعصب (٦١) .

ورغم ذلك لم تتوقف جهود الفاطميين لنشر دعوتهم في بلاد العراق
مستغلين سوء أحوال العراق نتيجة لما يسود بغداد من فوضى سببها
التنافس والنزاع على السلطة بين بنى بويه والخلاف بين جند الاتراك
فتابع الخليفة الظاهر الفاطمي سياسة أسلافه وأرسل في سنة ٤٢٥ هـ /
١٠٣٤م / بعض دعاة الى بغداد فاستجاب كثير من الناس لدعوتهم (٦٢) .

هكذا ، كان النفوذ الفاطمي قد امتد في بلاد العراق في عهد الخليفة
القادر ، ثم من بعده في عهد الخليفة القائم بأمر الله (٦٣) (٤٢٢ - ٤٤٧ هـ /
١٠٣١ - ١٠٥٦م) الذي لم يجد كسلفه لمناهضة الفاطميين خيرا من القدح
في نسبهم بقصد تنفير الناس عنهم ، وصدر بذلك محضر عن ديوان
الخليفة في بغداد في سنة ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢م (٦٤) .

وقد ظهر في عهد الخليفة القائم الخطر السلجوقي يهدد سلطة
البويهيين ويؤذن بزوال ملكهم واستغل القائم هذا الخطر السلجوقي في
تهديد البويهيين .

وكان النشاط الفاطمي في بلاد العراق زاد زيادة كبيرة في أواخر عهد
أبي كاليجار البويهي (٤١٥ - ٤٤٠ هـ) بسبب نشاط داعيتهم هبة الله
الشيرازي وتأيد أبي كاليجار له حتى أنه هدد الخليفة العباسي القائم
بإعلان دولة للفاطميين في بغداد (٦٥) .

(٦١) ماجد : ظهور خلافة الفاطميين ص ١٧٠ ، وأنظر ابن خلدون
ص ٢٠ - ٢٣ .

(٦٢) المقرئ : اتعاظ الحنفا ج ٢ ص ١٨١ ، جمال سرور : سياسة
الفاطميين الخارجية ص ١٧٨ .

(٦٣) Amir Ali, A Short History of the Saracenes, P. 306

(٦٤) ابن ميسر : أخبار مصر ج ٢ ص ٦ النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٥٣ ،
جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ١٧٨ ولم تصلنا
صيغة هذا المحضر بخلاف المحضر الذي في عهد القائد
الحاكم ماجد . ظهور خلافة الفاطميين ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(٦٥) محمد حلمي أحمد : الخلافة والدولة في العصر العباسي ص ١٨٢
والخربوطلي مصر العربية الاسلامية ص ١٩٢

وكان هبة الله الشيرازي يلقي أصول الدعوة الفاطمية لأبي كاليجار ، وفي ذلك يقول : (كنت كل ليلة جمعة أمكت عنده الى أن يمضي هزيع الليل ، وهو يسألني عما يهجس في نفسه ، وكنت أجيب عنه جوابا يظهر أثير تباشير الفرح في وجهه ، وأسأله كيف وقع هذا الجواب منك ، فربما حرك رأسه يعنى أنه جيد ، فلا أرضى دون أن أقرره بلسانه أنه ما دخل في مسامعه مثله » (٦٦) .

وقال أبو كاليجار لهبة الله : « انى سلمت نفسى ودينى اليك ، واننى راض بجملة ما أنت عليه » (٦٧) ؛ ولم يخف أبو كاليجار اعجابه بهبة الله أمام وزرائه (٦٧) .

وأمام استشراء الدعوة الفاطمية بهذه الصورة ، وأمام تأييد أبي كاليجار أرسل الخليفة القائم الى أبي كاليجار يتهدده بالاستعانة بالسلاجقة ان لم يسلم هبة الله الشيرازي اليه ، ولكن أبا كاليجار لم يهتم بذلك التهديد وظهر حرصه على هبة الله الشيرازي وطلب منه عدم تعريض نفسه للخطر بالبقاء في شيراز وأرسل اليه يقول : « لاشك أن هذه الضجة التى كادت تخرق الأرض وتشق الجبال وقعت في مسامعك ، وعلمت أن هذه الأمم لا يحصيها الا الله سبحانه ، أعداؤك وخصماؤك ، وكانوا أعداءنا فيك أيام كنا نقربك وندنيك ، وينبغى الآن أن تأخذ لنفسك ، وتبتغى سبيل نجاتك ، وتفرغ هذه الممالك ، ثم تأخذ أى صوب شئت » (٦٨) .

وزاد أبو كاليجار فارسل وفدا من كبار رجاله الى هبة الله لايقاسفه على جليلة الأمر ، وأرسل معهم رسالة القائم التى يتهدده فيها بالاستعانة بطغرلبك السلجوقى ، وما كان من أمر الطعن في نسب الفاطميين (٦٩) .

(٦٦) هبة الله الشيرازي : مذكرات داعى دعاة الدولة الفاطمية ص ٦٧ - ٦٨ .

(٦٧) هبة الله الشيرازي : نفس المصدر ص ٦٧ .

(٦٨) هبة الله الشيرازي : نفس المصدر ص ٨٩ .

(٦٩) وكانت رسالة القائم الى أبي كاليجار تقول : « والقول أنه أن كانت دعوة تعزى اليهم في الايام المتقدمة فلقد كانت في الخفاء والستر مثل خبيات الصدور ومكنونات القلوب ، وان أحدا ماجسر على مثل ماجسر عليه هذا الرجل الفاعل الصانع من الوقوف في بعض مواقف أظهاره وأشراره ، والتجرد لرفع معالم

وكان على أبي كاليجار في مواجهة تهديد الخليفة القائم أن يدير الدفة الى صالحه مع طغرلبيك السلجوقي الذي كان قد استولى على خراسان والرى (٧٠) ، فعقد معه الصلح في سنة ٤٣٩هـ / ١٠٤٧م ليقتطع بذلك الطريق على تعاون عباس سلجوقي ضده ، وتم بناءا على ذلك أن أمر طغرلبيك أخاه اينال بالكف عما وراء يده ، واستقر الحال بين طغرلبيك وأبي كاليجار على أن يتزوج طغرلبيك بابنة أبي كاليجار ويتزوج الأمير أبو منصور بن أبي كالبجار بابنة الملك داود أخى طغرلبيك ، وتم الزواج في ربيع الآخر سنة ٤٣٩هـ / ١٠٤٧م .

وهكذا نجح أبو كاليجار في عقد الصلح مع السلاجقة وأكد به بذلك الزواج السياسى (٧١) .

ورغم ذلك الصلح بين البويهيين والسلاجقة حرص أبو كاليجار على الاحتفاظ بعلاقاته الطيبة مع الفاطميين ، فكاتب هبة الله الشيرازى في هذا الصدد « ... وتصور لتلك الحضرة الشريفة ، دامت بالعز مكنوفة ، ما أطلعك عليه من شواهد صفاء عقيدتنا في مخالفتها ، وإيثارنا انتظام شمل سعادتها ، واستقامة أمور مملكتها ، وتعلمها أن هؤلاء التركمان المسئولين على أعمال خراسان والرى لا يقصر خطاهم عن بلاد المحروسة الا ثبات عساكرنا المنصورة في وجوههم وانصراف هممنا الى قمعهم وقل غريبهم ، وبذلنا الاموال في كف عادياتهم ، وامتداد جيوشنا الموفورة لمقارعتهم أين نجموا وأين نبغوا » (٧٢) .

وهكذا ، رأينا البويهيين منذ دخلوا بغداد وهم يعملون على نصرة المذهب الشيعى ، وعلى ظهور شاراته ورسومه وأحياء أعياده ، وكانوا

ذكرهم بالصلاة والخطبة ، وإزالة أسامينا بالكلية ، وإذا سُمح في بابيه وأهمل الاستيثاق وتسليم الى صاحبنا فقد أخرجتمونا من عهدة الايمان والعهدة بيننا وبينكم ، وأخرجتمونا الى استنصار من ينصرنا عليكم » . هبة الله الشيراز : ص ٩٠ وانظر : ماجد ظهور خلافة الفاطميين ص ١٧٤ .

- (٧٠) جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص ١٧٩ .
(٧١) انظر في ذلك كتابنا : الزواج السياسى في عهد الدولة العباسية .
(٧٢) محمد حلمى أحمد . الخلافة والدولة في العصر العباسى ص ٢٨٣ الى ص ١٨٤ .

على وجه العموم شيعيين في وقت قوتهم وأوقات ضعفهم ، وأدى ذلك على امتداد فترة حكمهم الى مصادمات دامية دائمة بين السنة والشيعة ، وكانوا مسئولين الى حد كبير عن تفاقم أسباب الخلاف بين أهل السنة والشيعة ليصلوا الى مأرب سياسية (٧٣) .

وقد أزمع بنو بويه تحويل الخلافة الى الفاطميين في إحدى مراحل ملكهم ، لما كانوا على تعاطف قوى في آخر عهدهم مع الفاطميين ، وكانوا على صلة وثيقة بداعييتهم الكبير هبة الله الشيرازي .

نوبعد ، فهل يحق أن يطلق على عصر البويهيين عصر الحرية المذهبية « وأن الشيعة والسنة اصطالحوا على أن يتمتع كل فريق منهم بالحرية المذهبية » (٧٤) . الحق ، أن الحرية المذهبية تعنى أن يعتقد كل فريق ما يراه دون أن يعترض طريقه أو يتعرض له فريق آخر الى درجة أن يصل هذا التعرض الى مصادمات دامية والى نشر الفتنة في البلاد فيصطلي الناس جميعا بنارها وينال كل فريق من مقدسات الفريق الآخر ان رجالا أو أمكنه ولعل الأولى أن يطلق عليه عصر « اثاره الفتنة المذهبية » .

(٧٣) الشريف الرضى : ص ١٤ .

(٧٤) ابراهيم الشريف : العالم الاسلامى في العصر العباسى ص ٥٢٦

الفصل الرابع

السيطرة على الوزارة

الفصل الرابع

« السيطرة على الوزارة في العهد البويهى »

كانت الوزارة في العهد التركى الأول قد انهارت مكانتها بعد أن عمل الأتراك للسيطرة عليها بعد أن سيطروا على الخلافة باعتبار الوزارة فأنى المراكز العليا في الدولة (١) . وصار منصب الوزير في ذلك العهد محنة لمن يتقلده فقد عدا وكانما عمله الأول ارضاء نهم الترك الجشعين (٢) .

وحاول الخليفة الراضى (٣٢٢ - ٣٢٩/٩٣٤ - ٩٤١ م) الذى بلغ منصب الوزير في عهده أقصى درجات التردى حيث كاد ينحصر في الظهور أيام الأعياد والمواكب وارتداء السواد ونقل السيوف والمناطق وغيرها من ملابس الوزراء وشعاراتهم ، حاول استحداث منصب جديد انقذاً للموقف (٣) ، فاستحدث منصب أمير الأمراء وبطلت منذ ذلك الوقت الدواوين وبطلت الوزارة ، فلم يكن الوزير ينظر في شئ من الأمور ، وإنما كان محمد بن رائق أمير الأمراء وكاتبه ينظران في كل الأمور ، وحذا حذو ابن رائق من ولى إمرة الأمراء بعده ، وأصبحت الأموال تحمل الى خزائنها ، فيتصرفون فيها كما يريدون ، ويطلقون للخليفة ما يريدون ، وبطلت بيوت الأموال (٤) .

(١) انظر كتابنا الخلافة العباسية في العصر التركى الأول ، والوزارة : اسمها مشتق من ثلاثة أوجه : ١ - من الوزر وهو الثقل ، لأنه يحمل عن الملك انقاله ، ٢ - من الأزر وهو الظهر لأن الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بظهره ، ٣ - اسم مشتق من الوزر وهو الملح ، ومنه قوله تعالى « كلا لا وزر » أى لا ملحاً لأن الملك يلجأ الى رأيه ومعونته . قوانين الوزارة ص ٦١ .

(٢) وذلك أن عمل الوزير يتطلب بالضرورة ادارة مالية للبلاد فهو الذى يعمل الدخل والخرج ويفرض الضرائب أو يسقطها ويحصل الأموال من النواحي ، الأحكام السلطانية ص ٢٠ ، وأنظر : فتحة البناوى : ص ٦٤ .

(٣) ربما ليكون كالوزارة في صدر الدولة العباسية : « التى كانت مؤازرة للخلافة معضدة للخلفاء حتى يمكن القول أن قوة الخلفاء وسطوتهم طغت على منصب الوزير » ، الأحكام السلطانية ص ٢٠ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ح ٦ ص ٢٥٤ .

جاء البويهيون بغداد في عهد الخليفة المستكفي بالله (٣٣٣ - ٣٣٤هـ) ، وكان أول وزرائه السامري أبو الفرح محمد بن علي الذي لم يكن له من الوزارة غير اسمها ، بينما كان تدبير الأمور الى أبي جعفر ابن شيرزاد (٥) .

وقد شغل البويهيون الذين دخلوا بغداد في سنة ٣٣٤هـ منصب أمير الأمراء ، ثم حصلوا من الخلفاء توكيدا لسلطانهم على الكثير من الألقاب حتى صاروا ملوكا يتلقبون بلقب شاهنشاه أو ملك الملوك (٦) ، ثم صار الحق في تولية الوزراء لهم دون غيرهم ، وصار هؤلاء الوزراء ينتسبون اليهم (٧) .

ولم يعد للخليفة حق تعيين الوزير ، وكان يعين للخلفاء كتاب يديرون لهم اقطاعاتهم المحدودة تحت اشراف ملوك البويهيين ووزرائهم ، وحدد البويهيون مرتبات للخلفاء بدأت بألفي درهم في اليوم في أوائل عهدهم (٨) ، ثم أخذت في التناقص والتضاؤل ، حتى انه يمكن القول أن الحاجة الى وزير للخليفة لم تكن موجودة ويصف ابن طباطبا هذه هذه الحال فيقول : « اضطربت أحوال الخلافة ولم يبق لها رونق ولا وزارة ، وتملك البويهيون ، وصارت الوزارة من جهتهم والأعمال اليهم ، وقرر للخلفاء شيء طفيف برسم اخراجاتهم » (٩) .

وأحدث البويهيون تغييرا في نظام الوزارة حيث استخدم بعضهم وزيرين على غير ما جرت به العادة من استخدام الخلفاء العباسيين لوزير واحد وكان عضد الدولة بن بويه أول من اتخذ له وزيرين في ان واحد ، فقد استوزر منصور بن نصر بن هارون وجعله على بلاد فارس ، كما استوزر المطهر بن عبد الله وأحضره معه الى بغداد ، وكعادة الوزراء في العهد البويهى أرسله عضد الدولة الى أعمال البطيحة (١٠) بعد وفاة

(٥) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٨٧ ، مسكويه ، تجارب الأمم ج ٢ ص ٧٨ .

(٦) أنظر Lane - Poole, Muhammadan Dynasties, P. 140

(٧) محمد حلمى أحمد : الخلافة والدولة في العصر العباسى ص ١٧٣

(٨) مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ٨٧ .

(٩) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٨٨ .

(١٠) هى بطائح واسط . ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٤٥٠

صاحبها عمران بن ساهين في سنة ٣٦٩هـ/٩٧٩م في جند وسلاح ، ولما وصل المطهر أضاع الوقت والأموال في سد أفواه الانهيار الداخلة الى البطائح ، ونمكن الحسن بن عمران بن شاهين الذي ولى البطيحة آنذاك من ايقاع الهزيمة به ، ولم يقبل ابن المطهر الرجوع الى عضد الدولة مهزوما فقتل نفسه ، قال مسكويه : « وكانت هذه الحادثة من عجائب الزمان اذ فتك الرجل بنفسه خوفا من تغير صاحبه له » (١١) .

وفي عهد صمصام الدولة وفي سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م استوزر وزيرين هما أبو القاسم وأبو الحسن أحمد بن محمد بن برمويه وخلع عليهما معا ، واكننت الأمور بين هذين الوزيرين تسير على ما يرام ، لأنها « كانت ثابتة على الاخاء ، جائزة على الصفاء ، وكانا يتجاوران في منازلهما ويتزاوران في مجالسهما ، فهما أبدا عاكفان اما على معاشرة واما على مشاورة » (١٢) .

وفي سنة ٣٨٢هـ/٩٩٢م كانت الوزارة شركة بين أبي منصور بن صالحان وأبي نصر سابور ، وخلع عليهما بهاء الدولة « وطرح لهما دستا كاملا ، وكانا يتناوبان اسم أحدهما على الآخر في المكاتبات » (١٣) .

وأُسند فخر الدولة في سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م الوزير أبا العباس الضبي والوزير أبا على بن حمولة بعد أن استخلص منهما عشرة ملايين درهم « وجمع بينهما في النظر وخلع عليهما خلعتين متساويتين ورتب أمرهما على أن يجلسا في دست واحد ، ويوقعان جميعا ، فيوما يوقع هذا ويعلم ذاك ، ويوم يوقع ذلك ويعلم هذا ، ووقع التراضي بذلك ونظرا في الأعمال » (١٤) .

ولم يطرد اتخاذ البويهيين لوزيرين في عهد جميع أمرائهم ، وهذا يعنى أنه لم يكن نظاما ثابتا يعمل به البويهيون أو ينبغي العمل به ، فقد اكتفى بهاء الدولة نفسه في بعض سني حكمه بوزير واحد (١٥) .

-
- (١١) مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ٤١١ .
 - (١٢) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص ١٠٢ .
 - (١٣) أبو شجاع نفس المصدر ص ٢٤٦ .
 - (١٤) مسكويه : ذيل تجارب الأمم ج ٢ ص ٢٦٤ .
 - (١٥) متر : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ١٧٩ .

وكانت سبطرة البويهيون على منصب الوزارة نعننى على كل مفدرات الدولة ؛ وقد كان لمنصب الوزير شأنه فى بداية سيطرة البويهيين ، ووجد من الوزراء من ساهم بجهد طبب فى تثبيت حكم بنى بويه ، غير أن ما ساد الببت البويهى من اضطرابات شاملة فيما بعد أصاب من اتصل بهم من وزراء وكتاب (١٦) ، وهذا ما يوضحه حديثنا التالى عن بعض وزراء بنى بويه :

- استوزر معز الدولة فى سنة ٣٣٩هـ / ٩٥٠م أبا محمد الحسين بن محمد المهلبى (١٧) بعد وفاة الوزير أبى جعفر الصيمرى ، وذلك لخبرته الواعية بشئون الدواوين ، وان لم يخاطب بلقب الوزارة رسميا الا سنة ٣٤٥هـ / ٩٥٦م (١٨) .

وكان اختيار معز الدولة لهذا الوزير قائما على كفاعته ومقدرته واخلاصه وقد أجمل ذلك مسكويه فقال : « سبب ذلك أنه وجده جامعا لأدوات البرياسة ، وان كان منهم من هو أرجح كتابة ، وأيضا فقد أنس به على طول الزمان وأنه خلف الصيمرى على الوزارة فعرف غوامض الأمور وأسرار المملكة ، وكان الباقون لا يعرفون ذلك ، ولا يخرج اليهم ولا يوثق بهم ، وكان مع هذا حسن الانباء عن نفسه فصباحا مهيبا متوصلا الى اثارة الأموال عارفا برسوم الوزارة القديمة ، سخيا ، شجاعا ، أديبا يفصح بالفارسية » (١٩) ؛ وتحدث الثعالبى عن أيام وزارته فقال : « وأيامه معروفة فى وزارته لمعز الدولة ، وتدبير أموره فى العراق ، وانبساط يده فى الأموال » (٢٠) .

(١٦) محمد حلمى أحمد : الخلافة والدولة فى العصر العباسى ص ١٧٤ .

(١٧) معه ولد فبيص بن المهلب بن أبى صفرة الذين كانوا يستوطنون البصرة ، واتخذوا فى القرن الثالث الهجرى دورا عرفت بحسنها . الثعالبى يتيمة الدهر ج ٢ ص ٢٢٤ ، شذرات الذهب ج ٣ ص ٩ وانظر : متز / الحضارة الاسلامية ج ١ ص ١٩٣ ، جمال سرور الحضارة الاسلامية ص ٦١ ، ٦٢ .

(١٨) متز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ١٩٤ ، محمد حلمى أحمد : المصدر السابق ص ١٧٥ .

(١٩) مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ١٢٤ .

(٢٠) الثعالبى : يتيمة الدهر ج ٢ ص ٢٢٤ .

• وكان هذا الوزير من العلامات البارزة في حكم البويهيين في أوائل عهدهم بما كان له من إنجازات تعمل على تقوية قبضتهم واستتباب أمن دولتهم ونشر العدل ، وإن قام ببعض أعمال المصادرات لمصلحة آل بويه .

أزال الوزير المهلبى كثيرا المظالم التى أصابت الناس من البريديين خاصة أهل البصرة ، بل إنه تنقل في البلاد بنفسه ليكشف المظالم عن الناس فظهر بذلك فضله على من تقدمه من الوزراء (٢١) .

وكان الوزير المهلبى قائدا لجيش البويهيين فقاد جيشا لمحاربة عمران بن شاهين المتغلب على البطيحة (٢٢) وإن لم يتمكن من تحقيق النصر عليه لتعجله ولمهارة عمران بن شاهين وخبرته بمسالك البطائح وطبيعتها (٢٣) .

كما نراه في سنة ٣٤١هـ / ٩٥٢م يتوجه لحرب يوسف بن وجيه المتغلب على عمان الخارج على معر الدولة ، والذي هدد البصرة ، وانتصر المهلبى على يوسف بن وجيه واستولى على مراكبه واسلحته (٢٤) .

واستصحب الوزير المهلبى معر الدولة في سنة ٣٤٧هـ / ٩٥٨م عندما استولى عليها معز الدولة من ناصر الدولة بن حمدان وذلك بصفته وزيرا عالما بالنواحي المالية ، حيث كان من عادة معر الدولة أن يستصحب معه جميع الكتاب والوزراء ومن يعرف أبواب المال ومنافع السلطان (٢٥) .

بل إن الوزير القائد المهلبى توفى في سنة ٣٥٢هـ / ٩٦٣م وهو في طريقه الى فتح عمان ، وذلك بعد أن لبث في عمله ثلاثة عشر عاما (٢٦) .

(٢١) مسكويه : تجارب الأمم ج٢ ص ١٢٥ ، ابن الأثير : الكامل ج٦ ص ٣١٤ .

(٢٢) أسس عمران بن شاهين دولة في البطيحة في سنة ٣٣٨هـ .

(٢٣) ابن الأثير : الكامل ج٦ ص ٢٣٧ ، مسكويه : تجارب الأمم ج٢ ص ١٣١ .

(٢٤) مسكويه : نفس المصدر ج٢ ص ١٤٤ ، ابن الأثير : نفس المصدر ج٦ ص ٣٤٠ .

(٢٥) ابن الأثير : الكامل ج٦ ص ٣٥٣ .

(٢٦) مسكويه تجارب الأمم ج٢ ص ١١٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج١١ ص ٢٤١ ، وانظر ، مئز : الحضارة الاسلامية ج١ ص ١٩٥ .

وكان الوزير المهلبى يحرص على هيئة الدولة ، وكان يرى في الصراع بين مذهبي الشيعة والسنة ما يذهب بهيبة الدولة ويعرضها للخطر فحاول الوقوف في وجه هذه الظاهرة ، وان اضطرته الظروف الى ممالاة البويهيين ، وقد تجلى هذا في سنة ٩٥١/٣٤٠م حين قبض على بعض الشيعة حتى لا يثيروا القلاقل ولكنه اضطر الى ممالاتهم واطلاق سراحهم مراعاة لمعز الدولة الذي كان يمالئهم ويشجعهم ، ومع ذلك فإن المهلبى تحفظ على أموالهم (٣٦) .

وفي سنة ٩٦١/٣٥٠م ، وقعت فتنة عظيمة ببغداد بسبب النزاع بين الشيعة والسنة فقبض الوزير المهلبى الحازم على الكثيرين من مثري الفتنة من السنة ، وجعلهم في زوارق مسمرة ، وحبسهم في بعض مدن العراق ، وقد مات الكثير من هؤلاء في الحبس ، وظل بعضهم حتى مات المهلبى فأطلق سراحهم (٣٧) .

ولم يقف حزم المهلبى في موقفه من الشيعة والسنة ، بل ظهر كذلك في الضرب على أيدي العابثين ومن يتعرضون لحرم الناس فقبح في سنة ٩٦١/٣٥٠م على حاجب قاضى القضاة لأنه كان رجلا عاهرا يتعرض لحرم أصحاب الخصومات ومن لهم حاجة لدى قاضى القضاة (٣٨) ، وأمر المهلبى بضربه ، فضرب حتى أوشك على الهلاك وصادر أمواله ، قال ابن الأثير يصف موقف الوزير المهلبى من هذا الحاجب : « صودر محمد الحاجب غلام قاضى القضاة ، وضربه الوزير أبو محمد المهلبى ضرب القلف لما بلغه عنه التحزّم والتّهتك في أيام أبى السائب ، ولم يكن به الا التشفى منه فنثر كعابه ضريبا ، وكان هذا الرجل عاهرا يتعترض لحرم الناس ، وكان مرسوما بحجة قاضى القضاة ، فكان لا يمتنع عليه من لها خصومة أو حاجة عند قاضى القضاة ، وكان جميلا مقبول الصورة ويتصنع مع ذلك ويتهم بفواحش مع صاحبه » (٣٩) .

ومع تلك الصفات العالية التى تميز بها المهلبى فإنه قد يفعل ما يسىء

-
- (٢٦) ابن الأثير : الكامل ج٦ ص ٢٣٩ .
(٢٧) ابن الأثير : نفس المصدر ج٦ ص ٢٨٨ .
(٢٨) متز : الحضارة الاسلامية ج١ ص ١٩٥ .
(٢٩) ابن الأثير : الكامل ج٦ ص ٣٦١ .

ارضاءا لساتته من بنى بويه ، وان كان هذا جزءا من عمل الوزير في هذا العهد ونقصد بذلك ما كان منه في حق أبى على الخازن محمد الذى قبض عليه واستخلص أمواله بعد وفاته لبنى بويه ، وان كان مسكويه يذكر ما فعله المهلبى بأبن الخازن بعد وفاته معجبا بما كان من المهلبى ، يقول مسكويه : « ثم أخذ في التفتيش فأثار له أموالا كثيرة بعضها جرى بحضرتى فكان من ذلك أن قبض على غلمانة وأسبابه ، وخلا بواحد منه فأرهبه وأرغبه وسأله هل بتهم موضعا من داره بدفين أو بنهم معاملا له بوديعة فقال له : « ان هذا الرجل كان أدهى من أن يعمل شيئا مما تطلبه ونبحث عنه بحضرة أحد ولست أتهم أحدا الا أنه طرد غلاما له مزيئا من حجرة مرسومة به وجلس في حجرته للخلوة أياما . فعبر الوزير بنفسه الى دار أبى على الخازن والتمس حجرة المزين وكان غلاما حبشيا أو نوبيا فجلس فيها فحفر مواضع فيها فظفر بمال لم أعرف مبلغه ، وكان في جملة المدفون آلة شبيهة بميزان أعنى بيت الميزان من خشب الساج له طبق كطبق الميزان وليس فيه موضع كفة ولا موضع السنج بل هو محفور من ترابيعه شبيها بحوض وعليه طبقة مهندمة عليه وهو خال لا شيء فيه ثم قلب ذلك الطبقة ووجد عليه كتابة فحمل تلك الآلة الى منزله ، وحمل المال الى خزانة الدولة » ، ثم يقول مسكويه « فعهدى به يقلب تلك الآلة وينأمل تلك الكتابة وكانت بخط ردىء فاذا هى أسماء قوم ورموز لا يفهم منها شيء ، وكانت تلك الأسماء أسماء قوم مودعين وأن تلك الرموز مبلغ ما عندهم من المال ، فاستعمل دهاءه فيه » (٣٠) ، وتمكن المهلبى عن طريق الدهاء والتخمين من الوصول الى هذه الأموال ، وبطش بمن اهتدى اليه حتى حصل على المال (٣١) .

ويعقب آدم متز على نصرف المهلبى هذا بقوله : « كان يفعل في بعض الأحيان ما يثير سخطنا » (٣٢) ثم يقول : « وان كان ليس في هذا ما يشين عند خلفاء ذلك العهد وأمرائه ، حتى أن مسكويه يذكر صنيع

(٣٠) مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ١٨٧ - ١٨٨ .

(٣١) مسكويه : نفس المصدر ص ١٨٨ .

(٣٢) متز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ١٩٥ .

المهلبى معجبا بذكائه وصدق تحمبته ورضاء معز الدولة عنه « (٣٣) .

واكتفى معز الدولة بعد وفاة الوزير المهلبى بكاتبه أبى الفضل بن العباس بن الحسين وأبى الفرج محمد بن العباس ، كما دا كفاءة وأمانة ، كما استعان كذلك بالحاجب سبكتكين .

وقبل وفاة معز الدولة فى سنة ٣٥٦هـ / ٩٦٧م أوصى ابنه بختيار بأبى الفضل بن العباس بن الحسين ، وأبى الفرج محمد بن العباس « لكفائتيهما وأمانتهما » (٣٤) .

وقام أبو الفرج فى سنة ٣٥٧هـ / ٩٦٨م بالقضاء على عصيان حبشى بن معز الدولة الخارج فى البصرة عن طاعة بختيار ، حيث قبض أبو الفرج عليه واستولى على أمواله بالبصرة (٣٥) .

وحاول أبو الفضل بن العباس القضاء على احدى فتن الشيعة والسنة فى الكرخ ببغداد ، واتخذ موقفا عنيفا فاحرق الكرخ مقر الشيعة (٣٦) .

وكان ممن استوزرهم بختيار فى سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢م الوزير محمد بن بقية ولم يكن بختيار موفقا فى اختياره لهذا الوزير لوضاعة أصله وكان يتولى مطبخ معز الدولة ويقوم على شئون طعامه « ويقدم اليه الطعام ومنديل الخوان على كتفه الى أن استوزره بختيار (٣٧) ، ولذلك كان الناس يقولون عنه : « من الغضارة الى النضارة » (٣٨) .

على أن ابن بقية تمكن فى الوزارة واستولى على أموال أبى الفضل الكاتب وأصحابه ولكنه كان مسرفا فأقنى ذلك المال ، مما دفعه الى أن يبحث عن وسائل جديدة يحصل بها على الأموال فظلم الرعية مما أدى الى خروج الأمور عليه « حتى خربت النواحي وظهر العيارون وعملوا ما أرادوا » (٣٩) .

(٣٣) متز : نفس المصدر ج١ ص ١٩٥ .

(٣٤) ابن الأثير : الكامل ج٧ ص ٢٢ .

(٣٥) ابن الأثير : نفس المصدر ج٧ ص ٢٦ .

(٣٦) ابن الأثير : نفس المصدر ج٧ ص ٥٠ .

(٣٧) ابن الأثير : نفس المصدر : ج٧ ص ٥٠ .

(٣٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان ح٥ ص ١١٩ .

(٣٩) ابن الأثير : المصدر السابق ح٧ ص ٥٠ ، والعيارون اللصوص

ولكن لابن بقية الفضل في اصلاح ما حدث بين بختيار وسبكتكين
الحاجب الذى كان الحند الأتراك يؤازرونه ، وتمكن من عقد الصلح
بينهما وان كان « صلحا على دحر » كما يقول ابن الأثير^(٤٠) .

وان كان مما يسىء اليه محاولته القبض على بختيار وتسليمه الى
عضد الدولة ، كما كان يقوم بافساد الأحوال بينهما^(٤١) ، وبعد تمكن
الأمور لعضد الدولة نسبت اليه أقوال في حق عضد الدولة .

ومع ذلك فان ابن خلكان يصف بن بقيه انه « كان من حلة
الرؤساء » ، وأكابر الوزراء ، وأعبأ الكرماء^(٤٢) .

وكان من أشهر وزراء بني بويه الوربر أبو الفضل محمد بن العميد
ابن عبد الله الحسين بن محمد الكائب المعروف بالعميد تعظيما له .

وقد وزر أبو الفضل لركن الدولة أوى على الحسن بن بويه والد
عضد الدولة ، وكان ذا مكانة عالية ، وصفه الثعالبي في يتيمة بقوله :
« عُيِّنَ الْمَشْرِقُ ثُمَّ وَلِسْتَانُ الْجَبَلِ ، وَعُمَادُ مَلِكِ آلِ بُوَيْهِ » ، وصدر وزراءهم ،
وأُوْنِدَ الْعَصْرِ فِي الْكِتَابَةِ وَجَمِيعِ أَذْوَاتِ الرِّيَاسَةِ وَالْأَلَةِ الْوِزَارَةِ^(٤٣) ،
وعن ابن العميد ككاتب قيل : « بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن
العميد »^(٤٤) .

وكان ابن العميد على مقدرة كبيرة في سياسة الدولة عمل على اصلاح
ما فسد من أمور ركن الدولة . رغم أن ركن الدولة كان لا يسمع اليه ،
ويجنب آدم متز ابن العميد مسئولية فساد الأحوال في عهد ركن الدولة .
ويستشهد على ذلك بقول مسكويه : « فما حيلة وزبره ومدبر أمره »^(٤٥) .

اما عن مقدرة ابن العميد على الاضطلاع بأمور الملك فيشهد له
مسكويه قائلا : « فاما اضطلاع بأمور الملك فقد دلت عليه رسائله ،

-
- (٤٠) ابن الأثير : المصدر السابق ج ٧ ص ٧٠ .
(٤١) مسكويه نجارب الأمم ج ٢ ص ١٧٤ .
(٤٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ ص ١١٩ .
(٤٣) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ٣ ص ٥٨ .
(٤٤) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج ٩ ص ٣١ .
(٤٥) متز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٥٧ .

ولاسيما رسالته التي يخبر فيها باضطراب فارس وسوء سياسة من تقدمه لها ، وما يجب أن تتلافى به حتى تعود الى أحسن أحوالها ، فان هذه « رسالة تتعلم منها صناعة الوزارة » ، ويقول : « ولما حصل بفارس علم عضد الدولة وجود التدابير السديدة ، وصناعة الملك التي هي « صناعة الصناعات ، ولقنه ذلك تلقينا ، فصادف متعلما لقنا ، حتى قال عضد الدولة مرارا : « ان أبا الفضل بن العميد كان أستاذنا ، وكان لا يذكره في حياته الا الأستاذ الرئيس » (٤٦) .

وكان الوزير ابن العميد ذا رأى صائب يدل على ذلك ما حدث في سنة ٣٥٥هـ/٩٦٦م وهو وزير ركن الدولة حيث خرج عشرون ألفا من الخراسانيين الى الري بقصد غزو بلاد ركن الدولة وأفسدوا في أطراف بلاده ، فأشار عليه أبو الفضل ابن العميد بمنعهم من دخول بلاده مجتمعين ، فقال ركن الدولة : لا تتحدث الملوك أننى خفت جمعا من الغزاة ، فأشار عليه ابن العميد عندئذ بتأخيرهم الى أن يجمع جنده الذين كانوا متفرقين في أعمالهم ، فلم يفتصح بنصحه ، فقال : « أخاف أن يكون لهم مع صاحب خراسان مواطاة على بلادك ودولتك » ، فلم يلتفت اليه ، وعندما دخل الخراسانيون الري اجتمعوا بابن العميد وظهر له منهم خبث سرائرهم ، وحاول ابن العميد مداراتهم ، ولكن الفتنة استشرت ، واضطر ركن الدولة الى محاربتهم وهو في عدد قليل ، وتمكن الخراسانيون من هزيمته وأنقذه الليل منهم « فلو تبعوه لأتوا عليه وملكوا منه ، لكنهم عادوا عنه لأن الليل أدركهم » (٤٧) وقد نهبوا دار الوزير ابن العميد وجرحوه لكنه نجا من القتل .

وجنح ركن الدولة الى استخدام الحيلة في قتالهم في صباح اليوم التالي حيث خيل اليهم أن أمدادا أتت اليه ففت ذلك في قوتهم في حين زاد أصحابه قوة ، وهكذا تمكن من هزيمتهم (٤٨) .

هذا ، وكان ابن العميد يقود الجيوش ، ويحضر المعارك حتى انه

(٤٦) متز : الحضارة الاسلامية ج١ ص ٢٠٤ .

(٤٧) ابن الأثير : الكامل ج٧ ص ١٨ .

(٤٨) ابن الأثير : نفس المصدر ج٧ ص ١٩ .

مات وهو يقاتل حسنويه الكردي الذي خرج على ركن الدولة وذلك في سنة ٣٥٩هـ/٩٧٠م ، وحل محله ولده أبو الفتح بن العميد^(٤٩) .

وكان أبو الفضل ابن العميد ذا هبة عظيمة حتى انه كان يكفي أن يرفع الطرف على طريق الانكار ، فترتعد الاعضاء وتضطرب ، وتسترخى المفاصل ، وقد شهد مسكويه بنفسه ذلك في مواقف كثيرة^(٥٠) .

وكان أبو الفضل ابن العميد على معرفة بطبائع الديلم ويعرف ما فيهم من حسد ، وأنه لا يملكهم أحد الا بترك الزينة ، وبذل ما لا يبطرهم ولا يخرجهم الى التحاسد ، وبترك التكبر عليهم ، وبالظهور في مرتبة أوسطهم حالا^(٥١) .

وولى الوزارة لركن الدولة أبو الفتح بن أبي الفضل ابن العميد الذي كان يخالف أباه في سياسته فكان يحب أن يسير في خواص الديلم ، ويرغب في استمالة قلوبهم عن طريق الهدايا والخلع ، كما كان يدعوهم الى اللعب والصيد ، ويستضيفهم في الصحراء .

ولم تكن هذه التصرفات تعجب أبا الفضل وقت حياته ، وقد نهى ابنه عن ذلك ووعظه ولكنه لم يتعظ فكان أبو الفضل يقول في مرض موته : « ما قتلنى الا ولدى ، وما أخاف على بيت العميد أن يخرب ويهلكوا الا منه »^(٥٢) ، ويضيف ابن الأثير : « فكان على ما ظن »^(٥٣) ، ويقول : « وانقلع بيت العميد على يده كما ظن أبو الفضل »^(٥٤) .

ومن أشهر من ولى الوزارة لبنى بويه صاحب اسماعيل بن عبّاد^(٥٥) ، وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء ، لأنه كان يصحب

(٤٩) متز : الحضارة الاسلامية ج١ ص ٢٠٥ .

(٥٠) متز : نفس المصدر ج١ ص ٢٠٥ .

(٥١) متز : نفس المصدر ج١ ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٥٢) ابن الأثير : الكامل ج٧ ص ٣٨ .

(٥٣) ابن الأثير : نفس المصدر ج٧ ص ٣٩ .

(٥٤) ابن الأثير : نفس المصدر ج٧ ص ٨٢ .

(٥٥) وهو فارسى الأصل من أهل الطالقان وهى ولاية بين قزوین

وأبهر . جمال سرور : الحضارة الاسلامية ص ٦٥ عن معجم

الأدباء .

أبا الفضل ابن العميد ، فقليل له: صاحب ابن العميد ، ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة ، وبقي: علما عليه^(٥٦) ، وقيل أنه سُمي بالصاحب لأنه صلب مؤيد الدولة بنى بويه منذ الصبا وسماه الصاحب ، فاستمر له هذا اللقب واشتهر به ، ثم سمي به كل من ولى الوزارة بعده^(٥٧) .

وكان ابن سعدان الوزير (٣٧٤هـ / ٩٨٤م) يخاطب ابن عباد بالصاحب الجليل^(٥٨) .

وكان الصاحب بن عباد أشهر الوزراء في أواخر القرن الرابع ، وكان وزير آل بويه بالرى ، وكان ذا مكانة عالية وكان يقوم بتدبير جميع الأمور ، وكان يحاط بكل ضروب الاجلال^(٥٩) ، وكان يشبه بهارون الرشيد لأنه جمع حوله أهل اللسان وكانت له مراسلات مع رؤساء الأدباء بالشام وبغداد^(٦٠) .

وكان الصاحب يتصف بالشدة والقسوة وسرعة الغضب وبسرعة التأثير عليه حتى ان الناس كانت تججم عنه لجرأته وسلطة لسانه واقتداره وبطشه ، ولأنه كان شديد العقاب ضعيف الثواب^(٦١) .

وكان الصاحب ذا رأى نافذ يشير في أعظم الأمور فيؤخذ بمشورته، حدث ذلك عندما توفي مؤيد الدولة البويهى في سنة ٣٧٣هـ / ٩٨٣م دون أن يعهد بالملك بعده لأحد ، وقد أشار الصاحب بابن عباد بأن يتولى الأمر فخر الملك كبير الببب البويهى ومالك تلك البلاد قبل مؤيد الدولة ، ولما فيه من آيات الامارة والملك ، وأرسل الى فخر الملك في نيسابور ، وفي نفس الوقت أقام خسرو فيروز بن ركن الدولة ليسكن الناس حتى يقدم فخر الملك . وهكذا عاد فخر الملك الى مملكته بمشورة الصاحب ابن عباد .

(٥٦) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج١ ص ٢٢٩ وابن العماد الحنبلى :

شذرات الذهب ج٣ ص ٣١ .

(٥٧) ابن خلكان : نفس المصدر ج١ ص ٢٢٩ .

(٥٨) متز : الحضارة الاسلامية ج١ ص ١٩٥ .

(٥٩) الثعالبي يتيمة الدهر ج٣ ص ١٩٣ .

(٦٠) متز : الحضارة الاسلامية ج١ ص ١٩٩ .

ولا غرو والأمر كذلك أن ينمسك به فخر الدولة حين عرض ابن عباد الاستعفاء من منصبه فقد قال له صاحب : « يا مولاي قد بلغك الله وبلغني فيك ما أملت ، ومن حفوف خدمتي لك اجابني الى ترك الجندية وملازمة داري والتوفر على أمر الله » ، فقال له فخر الدولة : « لاتقل هذا فما أريد الملك الا لك ، ولا يستقيم الأمر الا بك ، واذا كرهت ملابسة الأمور كرهتها أنا أيضا وانصرفت » (٦١) فانصاع صاحب الأمر فخر الملك وصار وزيره وأصبح نافذ الرأي في كل صغير وجليل من الأمور (٦٢) ، وكان فخر الدولة والصاحب بن عباد يشعران أنهما يكملان بعضهما هذا في الامارة وذاك في الوزارة (٦٣) .

وكان صاحب بن عباد يؤثر العراق على فارس ، ويتمنى أن يتقلد منصب الوزارة في بغداد ، وكان حريصا على تلك الغاية (٦٤) ، وقال في ذلك : « ما بقى من أوطاري وأغراضى الا أن أملك العراق ، وأتصدر ببغداد ، واستكتب أبا اسحق الصابىء ، ويكتب عنى » (٦٥) .

ولاحت للصاحب بن عباد فرصته بعد وفاة شرف الدولة أبى الفوارس شيرزىل بن عضد الدولة في سنة ٣٧٩هـ / ٩٨٩م بعد أن ملك العراق سنتين وثمانية أشهر ، فدفع الى فخر الدولة من بزين له ذلك الأمر ، واستشار فخر الدولة صاحب فيما أشبر به عليه فأجابه اجابة ذكية قائلا : « ان سعادته تسهل كل صعب » (٦٦) .

وقام صاحب ابن عباد بنفسه على رأس أحد جيشين كان أولهما

-
- (٦١) ابن الأثير : الكامل ج٧ ص ١١٧ .
(٦٢) ابن الأثير : نفس المصدر ج٧ ص ١١٧ - ١١٨ ، وانظر : بدوى طبانة : صاحب بن عباد ص ٨٦ .
(٦٣) الثعالبي : ينيمة الدهر ج٣ ص ١٩٤ ، بدوى طبانة : نفس المصدر ص ٨٧ .
(٦٤) ابن الأثير : الكامل ج٧ ص ١٣٩ ، جمال سرور : الحضارة الاسلامية ص ٦٣ .
(٦٥) معجم الأدباء لياقوت عن : بدوى طبانة : صاحب بن عباد ص ٩٢ .
(٦٦) ابن الأثير : الكامل ج٧ ص ١٣٢ ، بدوى طبانة : نفس المصدر ص ٩٤ .

بقيادة فخر الدولة ووجهته خوزستان^(٦٧) وثانيهما بقيادة صاحب ابن عباد يعاونه بدر بن حسويه ووجهته العراق .
وخوف حاسدو صاحب ابن عباد فخر الدولة منه ، وقالوا له :
« ربما استماله أولاد عضد الدولة »^(٦٨) فاستدعاه فخر الدولة اليه وسار معه الى خوزستان . وعندما أحس بهاء الدولة بالخطر يتهده في بغداد رأى أن يواجه فخر الدولة بعيدا عنها فإرسل بجيشه لملاقاة فخر الدولة بالقرب من خوزستان .

ولم يحسن فخر الدولة قيادة جيشه وبدأ الخوف والضجر يتسريان الى جنده فاستشار صاحب فقال له : « ان الرأي في مثل هذه الاوقات اخراج المال وترك مضايقة الجند ، فان أطلقت المال ضمنت لك حصول أضعافه بعد سنة »^(٦٩) ولم يعمل فخر الدولة بتصيحة صاحب فانفض عنه كثير من جنده وتم النصر لجند بهاء الدولة ، ولم ينحسق للصاحب أملة في ولاية الوزارة في بغداد^(٧٠) .

وكان صاحب ابن عباد قائدا متميزا يشتهر بكفاءته الحربية فاستطاع أن يغزو بجيشه طبرستان ويستولى على بعض قلاعها^(٧١) .

ولا جرم والحال كذلك ان تكون له منزلة عالية بلغ من علوها أن قواد بنى بويه وحكامهم كانوا يقفون ببابه فاذا دخلوا اليه أو خرجوا من عنده قبلوا الأرض بين يديه تعظيما وتوقيرا .

وكان ممن دخل اليه بديع الرمان الهمداني الذي قال : « لما أدخلني والدي الى صاحب ووصلت الى مجلسه ، واصلت الخدمة بتقبيل الأرض ، فقال لي : يا بني اقعد « كم تسجد كائنك هدهد »^(٧٢) .

-
- (٦٧) خوزستان : إقليم واسع يشتمل على مدن كثيرة بين البصرة وبين فارس ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٣١١ .
(٦٨) ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ١٣٩ .
(٦٩) ابن الأثير : نفس المصدر ج ٧ ص ١٤٠ .
(٧٠) جمال سرور : الحضارة الاسلامية ص ٦٤ .
(٧١) جمال سرور : نفس المصدر ص ٦٤ .
(٧٢) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ٣ ص ١٩٧ .

وقد بلغ من شهرة الصاحب أن نوح بن منصور أحد ملوك بنى سامن كتب اليه سرا يستدعيه ليستوزره ويدبر أمور دولته فاعتذر الصاحب بقوله : « أنه يحتاج لنفل كتبه خاصة الى أربعمئة جمل فما الظن بما يليق بها من التجميل » (٧٣) .

ولما توفي الصاحب بن عباد في سنة ٣٨٥هـ / ٩٩٥م « أغلقت له مدينة الري واجتمع الناس على باب القصر ينتظرون خروج جنازته ، وحضر فخر الدولة بنفسه وسائر القواد ، وقد غيروا لباسهم فلما خرج نعشه صاح الناس باجمعهم صيحة واحدة وقلبوا الأرض ، ومنى فخر الدولة أمام الجنازة مع الناس وقعد للعزاء أياما ، ولذلك قيل : لم يسعد أحد بعد وفاته كما كان في حياته الا الصاحب » (٧٤) .

ومما يدل على دهائه وحكمته أنه قال وهو مشرف على الموت لفخر الدولة : « قد خدمتك أيها الأمير خدمة استفرغت قدر الوسع وسرت في دولتك سيرة جعلت لك حس الذكر فان أجريت الأمور بعدى على نظامها وقررت القواعد على أحكامها نسب ذلك الجميل السابق اليك وبسيت أنا في أثناء ما يثنى عليك ودامت الأحدث الطيبة لك ، وان غيرت ذلك وعدلت عنه كنت أنا المشكور على السيرة السالفة وكنت أنت المذكور بالطريقة الكنفية ، وقدح في دولتك وما يشيع في المستقبل عنك » (٧٥) .

وهكذا نرى أن قد ولى للبويهيين بعض الوزراء الذين كانوا على قدر من الكفاءة والمقدرة ، ولكننا نرى الأمور وقد اختلفت بعد وفاة الصاحب ابن عباد ، وصار منصب الوزارة موزعا للمساومات الشائنة (٧٦) ؛ ونضرب مثالا بما تم بعد وفاته حيث ولى الوزارة أبو العباس أحمد بن ابراهيم الضبى الملقب بالكافي ، فعرض أبو على

(٧٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٣١ ، ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ج ٣ ص ١١٤ .

(٧٤) ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ج ٣ ص ١١٥ ، أبو المحاسن : النجوم زاهرة ج ١ ص ١٧١ ، وانظر منر : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ١٩٧ .

(٧٥) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص ٢٦١ ، الكامل ج ٧ ص ١٧٠ .

(٧٦) منر : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ١٧٩ .

الحسن بن أحمد حمولة - الذى كان يقود بعض الجيوش - تأسد في جرجان (٣٧) - على فخر الدولة أن يوليه الوزارة في مقابل ثمانية ملايين درهم ، فبذل أبو العباس الضبى ستة ملايين درهم في مقابل اقراره على الوزارة ، ووجد فخر الدولة الحل الذى يعود على الجميع وعليه بالفائدة ، فجعل الوزارة بينهما شركة ، على أن يدفع له حمولة ستة ملايين درهم ويدفع أبو العباس أربعة ملايين ، وجمع بينهما في النظر في أمور الوزارة وأجلسهما في دسب واحد بحبث يكون التوقيع لهذا يوما والعلاقة للآخر .

أما فيما يختص بقيادة الجيش والتي كانت إحدى مهام الوزير البويهى فأنهما كانا يقتصران على من يخرج منهما لقيادة الجيوش ، ثم سعت السعاة بيهما فدبر أحدهما للآخر فقتله (٣٨)

كما تجلّى في ذلك الوقت كذلك الرعب في الاستحواد على الألقاب التي كانت تبدل في واقعها على مدى الاضطراب الذى أصاب الدولة والمجتمع حتى وصل الأمر في سنة ٤١١هـ / ١٠٢٠م الى أن أمر مشرف الدولة بن بويه في بغداد أن تضرب الدبابد أمام دار وزيره في أوقات الصلاة ولقب وزيره بوزير الوزراء (٣٩) ؛ كما خلع جلال الدولة - الذى تولى بعد وفاة مشرف الدولة - في سنة ٤١٦هـ / ١٠٢٥م على وزيره شرف الملك أبى سعيد بن مأكولا ، ولقبه علم الدين ، وسعد الملة ، أمين الملة شرف الملك ، وهو أول من لقب من الوزراء بالألقاب الكثيرة (٤٠) ؛ ولكن هذه الألقاب لم تكن تعنى غير أنها القاب لا جوهر لها فقد تهاوت قيمة الوزراء وتضاءل نفوذهم الى أكبر درجة .

(٧٧) جرجان : مدينة مشهورة وأقليم بين طبرستان وخراسان ، وهى اليوم في إيران في إقليم مازندران

Le Strange, Lands of the Eastern Caliphate, P. 417

(٧٨) متز الحضارة الاسلامية ح ١ ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٧٩) جمال سرور : الحضارة الاسلامية ص ٦٥ .

(٨٠) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ح ٢ ص ٢٦٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٨ .

نهائيات الوزراء :

ولم تكن نهايات الوزراء في أغلبها حسنة في أبهى سى بويه فقد كن ينالهم التعذيب والتنكيل والمصادرة مما بذكرنا بمصير اخوانهم في خلال العصر التركى الأول^(٨١) ، يتساوى في ذلك من حاز الكفاءة ومن فقدوها مما يعنى أن سى بويه قد سيطروا على منصب الوزارة في عهدهم سيطرة متجبرة لتكتمل لهم بعد سيطرتهم على الخلفاء السطرة على مقدرات الدولة جميعها .

أما الوزراء أنفسهم فقد كانوا وسيلتهم لاحكام سيطرتهم وجمع الأموال لهم ولكنهم في معظمهم كانوا يلقون سوء الجزاء مما يدل على سقوط هيبتهم كما يوضح ذلك الأمثلة الآتية :

نقم معر الدولة على وزيره أبى محمد المهلبى أمورا فامر بصربه بالمقارع خمسين مفرعة وحبسه في داره^(٨٢) ، ومع ذلك فانه لم يعزله لحرصه على ادارته وكفائه فشاوّر أصحابه وقال : « هل يجوز أن أستنيم الى هذا الرجل ، وقد لحقه منى هذا المكروه العظيم ؟ فقال له أحد من استشاره ان مرداويج قد ضرب وزيرة أعظم من هذا الضرب حتى كان لا يطيق المشى ولا يفدر على الجلوس لما حل به ثم خلع عليه ورده الى أمره »^(٨٣) .

والغريب أن المهلبى استمر في وزارة معر الدولة رغم ما ناله من هوان ، والغريب أيضا أنه لقى الهوان بعد مماته حيث لقى هو نفسه نفس مصير المصادرة الذى سلكه مع غيره ، فقبض معز الدولة أمواله وذخائره وكل ما كان له ، وأخذ أهله وأصحابه وحواشييه وحتى من خدمه يوما واحدا فقبض عليهم وحبسهم « وفعل بهم ما لا يفعل الا بعدو مكاشف حتى استقطع الناس ذلك واستفبحوه »^(٨٤) .

(٨١) انظر كتابنا الخلافة العباسية في العصر التركى الأول ص ١٦٥

وما بعدها .

(٨٢) مسكويه : تجارب الأمم ج ٢ ص ١٤٣ .

(٨٣) مقز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ١٧٧ .

(٨٤) مسكويه : المصدر السابق ج ٢ ص ١٩٨ ، متر : الحضارة

الاسلامية ج ١ ص ١٩٥ .

وساء مصير الوزير ابن بقية كذلك وكان سبب ما أصابه أنه دفع عز الدولة بختيار الى حرب ابن عمه عضد الدولة ، فالقتيا على الاهواز ، وهزم عز الدولة ، فنسب ذلك الى رآبه ومشورته ، وقبض عليه في مدينة واسط سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٧م ، وسملت عيناه ولزم ببته^(٨٥) ؛ وكما انتقم منه معز الدولة انتقم منه عضد الدولة عندما استقرت له الامور في بغداد لأقوال بلغته عنه ، فشهره عضد الدولة وعلى رأسه برنس ، ثم أمر بطرحه للقيلة فقتلته ، ثم صلبه عند باب الطاق «^(٨٦)» ، قال آدم متز : « وهذه العنوبة هي الاولى من نوعها ٨ الاسلام »^(٨٧) ، ولم يرل ابن بقية مصلوبا حتى توفي عضد الدولة ، ثم أنزل عن الخشبة ودفن في موضعه ، وذلك في عهد صمصام الدولة^(٨٨) .

أما الوزير أبو الفتح ابن العميد ابن أبي الفضل ابن العميد فقد قبض عليه عضد الدولة في سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٧م وطالبه بالأموال وعذبه ومثل به ويقال « انه سمل احدى عينيه وقطع أنفه ، وجز لحيته »^(٨٩) ، ويذكر من أسباب ما حاق بأبي الفتح مخالفته في تعجيل المسير من بغداد الى الري كما أراد عضد الدولة ، ومكاتبته لبختيار بأشياء يكرهها عضد الدولة^(٩٠) ، وكذلك ميل القواد اليه وغلوهم في محبته ، ومنها

-
- (٨٥) مسكويه : نفس المصدر ج٢ ص ٣٧٧ ، وفي الكامل « لأنه اطرحة واستبدد بالأمر دونه وجبى الأموال الى نفسه ولم يصل الى بختيار منها شيئا » ج٧ ص ٨١ .
- (٨٦) باب الطاق : محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي تعرف بطاق أسماء . ياقوت : معجم البلدان ج١ ص ٣٠٨ .
- (٨٧) متز : الحضارة الاسلامية ج١ ص ٦١ .
- (٨٨) ابن الأثير : الكامل ج٦ ص ٩٢ ، ولما صلب ابن بقية رثاه أبو الحسن الأبارى بقصده منها :

علو في الحياة وفي الممات لحق أنت احدى المعجزات
كان الناس حولك حين قاموا وفود بذاك أيام الصلات
وكأنك قائم فيهم خطيباً وكلهم قيام للصلاة .

وفيات الاعيان ج٥ ص ١٢٠ والسجود الزاهرة ج٤ ص ١٣٠ الى ١٣١ .

(٨٩) الثعالبى : يتيمة الدهر ج٣ ص ١٩١ ، ويقول ابن الأثير : وسمل

عينه واحدة . الكامل ج٧ ص ٨٢ .

(٩٠) ابن الأثير : الكامل ج٧ ص ٨٢ .

ترفعه عن التواضع لعضد الدولة في كتاباته^(١١) ، على أنه اذا صحت هذه الأسباب فان أهمها هو الحصول على الأموال ، وقد أدرك أبو الفتح بنفسه ذلك فانتقم من عضد الدولة على طريقته حيث مد يده الى جيب جبة عليه ففتقه وأخرج رقعة أنبت فيها ما لا يحصى من ودائعه وكنوز أبيه وذخائره ، وألقاها في كانون نار بين يديه ، وقال للقائد الموكل به المأمور بقتله بعد مطالبته : « اصنع ما أنت صانع ، فوالله لا يصل من أموالى المسنورة الى صاحبك دينار واحد »^(١٢) ، وقد لاقى بعد ذلك صنوف التعذيب حتى مات^(١٣) .

ولم يكن بنو بويه يتوانون عن مصادرة أحسن وزرائهم ونعنى به الوزير الجليل صاحب ابن عباد فقد فعل ذلك فخر الدولة بعد وفاة صاحب حيث أرسل الى داره من تحفظ عليها ، ونقل جميع ما فى الدار اليه^(١٤) . وقد وجدوا فى داره كيسا فيه رقاع أقوام بمائة وخمسين ألف دينار مودعة له عندهم فاستدعاهم وطالبهم بالمال واستولى عليه^(١٥) ، بل ان فخر الدولة أساء الى سيرة الرجل الذى ساندته ووطد له ملكه وذلك حين طلب من الوزير أبى العباس الضبى تحصيل أموال له ، فانه قال للوزير ابن الضبى : « ان صاحب أضاع الأموال وأهمل الحقوق ، وقد ينبغى أن يستدرك ما فات منها »^(١٦) ، فاشتراك الوزير ابن الضبى مع شريكه فى الوزارة الوزير أبى على حمولة فى القبض على أصحاب صاحب بن عباد^(١٧) .

وقد ذم ابن الأثير هذا حيث قال : « فقبح الله خدمة الملوك ، هذا فعلهم مع من نصح لهم فكيف مع غيره »^(١٨) .

-
- (٩١) الثعالبي : يتيمة الدهر ج٣ ص ١٩١ .
(٩٢) الثعالبي : نفس المصدر ج٣ ص ١٩١ - ١٩٢ ، الكامل ج٧ ص ٨٢ .
(٩٣) الثعالبي : نفس المصدر ج٣ ص ١٩٢ ، الكامل ج٧ ص ٨٢ .
(٩٤) ابن الأثير : الكامل ج٧ ص ١٥٠ .
(٩٥) ابن الأثير : نفس المصدر ج٧ ص ١٧٠ .
(٩٦) أبو الشجاع : ذيل تجارب الأمم ص ٢٦٣ - ٢٧٣ .
(٩٧) أبو الشجاع : نفس المصدر ص ٢٦٤ .

والحق أن منصب الوزارة في معظم مراحلها في العهد البويهى كان يعمل لمصلحة الملوك البويهيين ، وكان من مهام الوزير الأولى ارضاء نهم البويهيين الجشعين وارضاء أجنادهم الطامعين بالإضافة الى ما يجنيه الوزراء لأنفسهم الذى كان يعود وبالا عليهم فى حياتهم أو بعد مماتهم.

الفصل الخامس

بلاد الخلافة مسرح للأحداث الدامية

الفصل الخامس

بلاد الخلافة مسرح للأحداث الدامية

كان الحكم البويهى فى معظم مراحلہ لعنة حلت ببلاد الخلافة العباسية ، قاسى منها كل طوائف الشعب ، فلم يقف الأمر عند حدود الخلافات الدامية بين الشيعة والسنة التى أشعلها بنو بويه بمحاولة صبغ الدولة بالصبغة الشيعية ووقوفهم موقف النصراء للشيعة - كما قدمنا - بل تجاوزہ الى أن تصبح هذه البلاد (العراق والأهواز وكرمان وفارس) مسرحا للصراع بين أبناء بويه الذين انتظمتهم دائرة من الخلافات الحادة ظمعا فى الرئاسة والصدارة ، وشارك فيها الجنود المنقسمون من ديلم وأتراك بغية النفوذ والتعصب المذهبى والعائد المادى مما شكل حالة مزمنة من عدم الاستقرار نشبه الحروب القبلية التى عرفها العرب قبل الاسلام . وقد استنفد الجميع قوتهم فى هذه الحرب حتى أصابهم الضعف وصاروا لقمة سائغة للأتراك السلاجقة فيما بعد . واصطلى الشعب كله بنيران هذه الحروب التى تدور على أراضيہ والتى يمولها رغما عنه لمصلحة هؤلاء المتحاربين ، فحلت بالشعب المجاعات والأوبئة ، وفقد الشعور بالأمن والأمان لانتشار اللصوص من العيارين الذين استغلوا هذا المناخ السيئ .

ولو وجه ما استنفد من هذه الأموال فى تلك الحروب الى مشروعات صالحة فى مجالات البناء والتشييد والزراعة وغيرها من أوجه الاقتصاد المثمر لجنى الشعب من وراء ذلك خيرا كثيرا .

على أنه يمكننا القول أن الدولة البويهية شأنها شأن كثير من الدول مرت بعهدين متميزين : الأول عهد قوة وشباب الدولة ، والثانى عهد ضعفها وشيخوختها ، وإن كانت هذه الشيخوخة قد جاءت مبكرة نتيجة للمرض المبكر الذى أصابها بل حتى يمكن القول نتيجة للمرض الذى كانت تحمله منذ تأسيسها ، ولكنه لم يظهر بوصح الا بعد مرور فترة احتضان المرض .

وقد كان البويهيون على شئ من القوة فى عهد أوائل أمرائهم : معز الدولة وبختيار وعضد الدولة ، وفى وجود ركن الدولة رب العائلة

الذى كان يعمل على نماسكها ويحرص على وشائج القربى حرصا شديدا ، ولكن بعد أن مات رب العائلة وبعد أن ترك الأبناء الأقوياء من ورائهم أبناء ضعفاء نشب بينهم الصراع الذى انتظم أكثر من نصف العهد البويهى واحتترقت بلاد الخلافة بناره .

وتتضح هذه الحقائق كاملة باستعراض صور هذا الصراع والذى نجمله فيما يأتى :

عندما أحس معز الدولة (٣٣٤ - ٣٥٦ هـ) بدنو أجله أوصى ابنه عز الدولة بختيار (٣٥٦ - ٣٦٧ هـ / ٩٦٧ - ٩٧٨ م) بطاعة عمه ركن الدولة أبو على الحسن (١) واستشارته فى كل ما يفعله ، كما أوصاه بتقرير كاتبه أبى الفضل العباس بن الحسين ، وأبى الفرج محمد بن العباس لكفائتهما وأمانتهما ، كما أوصاه بالديلم والأتراك وبالحاجب سبكتكين ، حتى تستتب له الأمور ، ولكن بختيار خالف وصايا أبيه جميعها « واشتغل باللهو واللعب وعشرة النساء والمساخر والمغنين » (٢) ، وأساء صلته بكابيه وبالحاجب سبكتكين الذى ابتعد عنه حتى أنه لم يعد يذهب الى داره ؛ كما قاده اسرافه الى الطمع فى اقطاعات كبار رجال الديلم فنفاهم ليتحكم فى اقطاعاتهم وأموالهم بل وأموال كل من يمت اليهم (٣) . فاتفق أصاغر الديلم على مطالبته بزيادة أرزاقهم فزادها لهم ، فحذا الأتراك حذوهم (٤) .

أما سبكتكين الحاجب فقد أدرك انتواء بختيار الغدر به فأخذ أهبطه وانضم اليه الأتراك ، وشجع هذا الموقف على أن يخرج الديلم الى الصحراء وطالبوا بختيار باعادة قادتهم فأعادهم بختيار لاسيما وهو يرى سبكتكين يقف منه موقف العداء ، وكان هذا مشجعا للأتراك كذلك أن يفعلوا مثلما فعل الديلم (٥) .

وفى سنة ٣٥٧ هـ / ٩٦٨ م أراد حبشى بن معز الدولة الاستقلال بالبصرة

-
- (١) صاحب الرى وحمذان وأصبهان وطبرستان وجرجان وخرسان .
محمود شاکر : الدولة العباسية ج٢ ص ١٥٧ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ج٧ ص ٢٢ .
(٣) ابن الأثير : نفس المصدر ج٧ ص ٢٢ .
(٤) ابن الأثير : الكامل ج٧ ص ٢٢ .

حيث، كان فيها منذ وفاة أبيه ، فكلف بختيار وزيره أبا الفضل العباس ابن الحسين بالقضاء على حركته(*) ، واستخدم الوزير الحيلة في ذلك فراسل حبشى من واسط ووعده بتسليم البصرة اليه ان هو أمده بمال وقال له : « اننى قد لزمنى مال على الوزارة ولا بد من مساعدتى »(٦) ، فراسل حبشى اليه مائتى ألف درهم ، ولكن الوزير في أثناء ذلك كان قد راسل جند الأهواز للتوجه الى البصرة للالتقاء به ، فوصلوا اليه وأطبقوا على البصرة ووقع حبشى أسيرا ، نه حس في رمهرمر(٧) .

ونتيجة لازدياد نفوذ الأتراك استنجد بختيار بعضد الدولة ابن عمه ركن الدولة(٨) ، فوصل عليه عضد الدولة وهو يطمع في العراق ، واستغل ضعف بختيار وأخذ يحرض عليه الجنود الديلمية سرا ليشغبوا عليه ويطالبوه بالأموال جزاء صبرهم معه على حرب الأتراك ، ووافق ذلك هوى هؤلاء الجند ففعلوا ما حرضهم عليه عضد الدولة وبالحوا في شغبهم وكان بختيار - نتيجة لاسرافه وسوء ادارته كما قال ابن الأثير : (لا يملك قليلا ولا كثيرا ، وقد نهب البعض ، وأخرج هو الباقي والبلاد خراب فلا تصل يده الى أخذ شيء منها »(٩) ، ومن ناحية أخرى خرض عضد الدولة ابن عمه بختيار على ألا يستجيب لطلبات جنده وأن يشتد معهم حتى لا يطمعوا فيه ، بل ويبين له زهده في الامارة والرئاسة عليهم ، ووعده أنه اذا فعل ذلك نوسط هو بينهم وبينه فتستقر له الأمور .

وعمل بختيار بصيحة عضد الدولة فكانت وبالا عليه ونفاقت الأمور ، وعضد الدولة يغرى به الجند حتى كادوا يزحفون اليه ويأنون عليه(١٠) .

-
- (٥) ابن الأثير نفس المصدر ج٧ ص ٢٦ .
 (٦) ابن الأثير نفس المصدر ج٧ ص ٢٦ .
 (٧) رامهر : مدينة مشهورة بنواحي حوزسان .
 (٨) وكتب اليه فان كنت مأكولا فكأن أنت أكلى والا فأدركنى ولما أفرق . أبو الفدا : المختصر ج٢ ص ١١٤ .
 (٩) ابن الأثير : الكامل ج٧ ص ٦٠ .
 (١٠) مسكويه : حارب الأمم ج٢ ص ٣٤٢ ، ابن الأثير : الكامل ج٧ ص ٦ .

ولم يف عضد الدولة لبختيار بما وعده به بل أكد للجند عجز بختيار واستعفائه من منصبه (١١) ، وأنه (أى عضد الدولة) سيسوسهم بالاحسان وسينظر في أمورهم فسكن الجند وخمدت الفتنة ، ثم قبض على بختيار وعلى اخوته في ٢٦ جمادى الآخرة سنة ٣٦٤هـ / ٩٧٥م (١٢) .

وكان الخليفة الطائع راضيا بما آل اليه أمر بختيار لبغضه له ، وقد أَرْضَى عضد الدولة الخليفة بأن أظهر له من التعميم « ما كان قد نسى وترك » (١٣) وأمر بعمارة الدار والاكثر من الآلات وعمارة ما يتعلق بالخليفة وحماية أقطاعه وأرسل الى الخليفة لدى دخوله بغداد مالا كثيرا وأمتعة وفرشا وغير ذلك ، وأقر الأمور وقتل المفسدين من الشطار والعيارين (١٤) الذين كانوا يستغلون هذه الفتن للسلب والنهب والفساد .

وأجبر عضد الدولة بختيار أن يكتب الى ابنه المرزبان والى البصرة يطلب منه أن يفعل كما فعل ، فامتنع المرزبان رغم أن جنده من الديلم ورغم أن أسفهلار (١٥) عسكره كان يميل الى عضد الدولة (١٦) ،

وبادر المرزبان فقبض على محمد بن الجوهري الذى حمل اليه رسالة أبيه ، كما قبض على محمد بن دربند أسفهلار جنده ؛ ثم أرسل رسالة الى عمه ركن الدولة يطلعه على جليلة الأحداث ويطلب منه ألا يصدق ما يرسله اليه في هذا الشأن عضد الدولة أو وزيره أبو الفتح ابن العميد فانما « هو تمويه » وأن الحيلة استمرت وتمت لهما على القبض على أبيه وأنه امتنع ثقة بتداركه اياه ومعه « (١٧) » .

(١١) أبو الفدا : المختصر ج٢ ص ١١٤ ، ابن الوردي : تنمة المختصر ج١ ص ٢٩٩ .

(١٢) أبو الفدا : نفس المصدر ج٢ ص ١١٤ ، ابن الوردي : نفس المصدر ج١ ص ٢٩٩ .

(١٣) ابن الأثير : الكامل ج٧ ص ٦٠ .

(١٤) ابن الأثير : نفس المصدر ج٧ ص ٦٠ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج١١ ص ٢٧٩ .

(١٥) أسفهلار : قائد الجيش ، البقلی : مصطلحات صبيح الأعيث

(١٦) مسكويه : تجارب الأمم ج٢ ص ٣٤٤ ، ابن الوردي : تنمة المختصر ج١ ص ٢٩٩ .

(١٧) مسكويه : تجارب الأمم ج٢ ص ٣٤٤ - ٣٤٥ .

وهنا تظهر حكمة ركن الدولة كبير العائلة وحرصه على وحدة البيت البويهى وتماسكه وكان قد أبدى شديد ألمه لما حدث من ابنه فى حق ابن عمه حتى انه « ألقى نفسه عن سريرته الى الأرض وتمزغ عليها ، وامتنع من الأكل والشرب عدة أيام ومرض مرضاً لم يستقل منه باقى حياته » (١٨) .

وقد أرسل ركن الدولة الى امربان يشجعه على مقاومة عضد الدولة ويعده بأن يسير بنفسه الى بغداد حتى يصح الأمور فى صلبها ، ولم تجد رسائل عضد الدولة ولا وزيره أبى الفتح ابن العميد أنذا صاغية لدى ركن الدولة ، وكان عضد الدولة عرض على أبيه أن يحمل اليه عن أعمال العراق ثلاثين مليوناً من الدراهم يعلم أن ركن الدولة فى حاجة اليها يعجل له منها عشرة ملايين وأن يرسل اليه بختيار وأخوته ليجد لهم مكاناً فى بلاده (١٩) ، كما عرض عليه أن يحضر - أى ركن الدولة - الى العراق فيلى بنفسه أمرها ويصرف سختيار الى الرى ويعود عضد الدولة الى فارس (٢٠) ، ثم هو يهدد بعد ذلك بقتل سختيار اذا أصر ركن الدولة على تصرفه (٢١) .

وقد أثبت ركن الدولة أنه رجل مبادئ وقيم لا يثنيه عن ذلك ترغيب أو تهديد فأرسل يتهدد ابنه عضد الدولة ووزيره أبا الفتح ابن العميد : « لا تركنك وذلك الفاعل ثم لا أخرج اليكما الا فى ثلاثمائة جمازة عليها الرجال ، ثم اثبتوا ان شئتم فوالله لا أقاتلكما الا بأقرب الناس اليكما » (٢٢) .

وهكذا كان ركن الدولة حريصاً على تماسك البيت البويهى من أن تعصف به رياح الطمع ، وفيما لأخيه معز الدولة الذى كان يحبه محبة شديدة لأنه رياه فكان عنده بمنزلة الوالد (٢٣) . وقد روى أنه كان يرى

-
- (١٨) مسكويه : نفس المصدر ج٢ ص ٣٤٥ .
(١٩) مسكويه : نفس المصدر ج٢ ص ٣٤٨ .
(٢٠) مسكويه : نفس المصدر ج٢ ص ٣٤٩ .
(٢١) مسكويه : نفس المصدر ج٢ ص ٣٤٩ .
(٢٢) ابن الأثير : الكامل ج٧ ص ٦١ ، أبو الفدا : المختصر ج٢ ص ١١٥ .
(٢٣) ابن الأثير : نفس المصدر ج٧ ص ٦١ .

أخاه في المنام كل ليلة وهو يقول له : « يا أحمى هكذا مضمّنت» لى أن تخلفنى فى أهلى وولدى » .

وقد اضطّر عضد الدولة فى النهاية إمام هذا الموقف الرائع من أبيه أن يترك العراق ويعود الى فارس بعد أن أفرج عن بختيار وأعاده الى ولايته وان كان قد اشترط أن يكون بختيار نائباً عنه بالعراق وأن يخطب له ، وأن يجعل أخاه أبا اسحق أمير الجيش ليضعف أمر بختيار ، فقبل بختيار ذلك ، غير أنه بعد أن استفرت له الأمور فى بغداد مرة أخرى لم يف بما عاهد عليه عضد الدولة (٢٤) .

وتوفى ركن الدولة فى المحرم سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٦م (٢٥) فى مدينة الرى بعد أن عهد بالملك من بعده الى ولده عضد الدولة وجعل له السيطرة على أخويه فخر الدولة ومؤيد الدولة بعد أن عهد لفخر الدولة بحكم همذان وأعمال الجبل ومؤيد الدولة بحكم أصبهان وأعمالها ، وأوصى أولاده قبل موته بضرورة الحفاظ على وحدة البيت البويهى لأن وحدته أساس قوتهم .

وكانت وفاته خسارة فادحة للبيت البويهى ، وفى فداجة الخسارة بموته قال ابن الأثير : « فاصيب به الدين والدنيا جميعا لاستكمال جميع الخير فيه » (٢٦) ، ولم ينس ابن الأثير أن يشير الى موقفه الكريم من بختيار ابن أخيه حيث قال : « وفى فعله فى حادثة بختيار ما يدل على كمال مروءته وحسن عهده وصلته لرحمه » (٢٧) .

الخلافاة البويهية بعد وفاة ركن الدولة :

كانت وفاة ركن الدولة اذانا بفتح باب الشر على مصراعيه بين بنى

(٢٤) ابن الأثير : الكامل ج٧ ص ٢٢-٢٣ .

(٢٥) ابن الأثير : الكامل ج٧ ص ٨٠ ، ابن العماد الجبلى ج٣ ص ٥٥ وبجعل ابن الوردى وفاته فى المحرم سنة ٣٦٥هـ . تتمة المختصر ج١ ص ٣٠٠ .

(٢٦) ابن الأثير : الكامل ج٧ ص ٨٠ ، وانظر ابن الوردى : تتمة المختصر ج١ ص ٣٠٠ .

(٢٧) ابن الأثير : نفس المصدر ج٧ ص ٨٠ .

بويه فلم ينس عضد الدولة حلمه القديم بامتلاك العراق ، كما كان يمتلىء غيظاً لعودة بختيار عما عاهده عليه ، كما كان بحنقه محاولات بختيار اجتذب أصحاب الأطراف إليه لعمه أن هدفه النفوس بهم في مواضعه (٢٨) .

وبوجه عضد الدولة الى العراق في ذي القعدة سنة ٣٦٦هـ/٩٧٧م ، فأشار ابن بقة وريز بختيار عليه بالحروج الى الأهوار لملاقاة ابن عمه ، وساء موقف بختيار حين تخلى عنه بعض أنصاره فلم يؤازروه في حربه ضد عضد الدولة كحسنويه الكردي وأبي تغلب بن حمدان ، كما أن بعض حنوده انصرفوا عنه وانضموا الى جيش عضد الدولة ، وتخطت بختيار بين البقاء في واسط أو العودة الى بغداد وقبض على وزيره ابن بقة في محاولة لارضاء عضد الدولة ، وانتهى أمره بقبول عرض عضد الدولة اليه بترك العراق على أن يمدد عضد الدولة بحاجته من المال والسلاح وغير ذلك ، وسلم بختيار وريزه ابن بقة الى عضد الدولة بعد أن قلع عينيه وخرج قاصداً بلاد الشام في حين دخل عضد الدولة بغداد وحطب له بهما وصرب على بابيه ثلاث نوب « ولم تجر بذلك عادة من نقدمه » (٢٩) ، وهكذا تمكنت الأمور له في بغداد (٣٠) كما كان يريد ، وانتقم من الوريث ابن بقة بأن القاه بين قوائم الفيلة فقتلته ، وصلب على جسر بغداد في شوال سنة ٣٦٧هـ/٩٧٨م .

أما بختيار فانه خرج قاصداً الشام وبصحبه ناصر الدولة بن حمدان فزين له ناصر الدولة فصد الموصل ولاية أبي تغلب بن حمدان فهي خير من الشام وأسهل ، وكان ناصر الدولة قد زين له ذلك لعداوته مع أخيه أبي تغلب فقصدها بختيار رغم أن عضد الدولة كان قد أخذ عليه العهد بالآلا يقصدها فبسي بختيار عهده ولم يف به لعضد الدولة ؛ وفي الطريق الى الموصل وصلته رسل أبي تغلب تطلب منه تسليم حمدان الى

(٢٨) وفي هذا المجال اجتذب بختيار إليه حسوية الكردي وأبي تغلب بن حمدان وعمران بن سهرسرو وأسمال اليه فحر الدولة أخا عضد الدولة .

(٢٩) ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ٩٠ .

(٣٠) أبو المحاسن النجوم الزاهرة : د : ص ١٢٩ .

أبى تغلب على أن يقوم أبو تغلب بمساعدته لاسترداد ملكه بالعراق فقبض على حمدان وسلمه الى رسل أبى تغلب فحبسه فى احدى قلاعہ ، ووفى أبو تغلب لبختبار وسار معه بجيش كبير بلغت عدته عشرين ألفا ، واسرع عضد الدولة بملاقاتهما فى الطريق بقصر الجص بنواحي تكريت (٣١) ، وهرم جيش الحليفين ، ووقع بختيار أسيرا فى يد عضد الدولة فأمر بقتله فقتل ، وقتل عدد كثير من أصحابه ، وهكذا استقر الملك لعضد الدولة ، وخلا له الجو مما كان يمكن أن يكدره (٣٢) .

ومن ناحية أخرى تلعب عضد الدولة على أحيه فخر الدولة الذى أزر بختيار وقصد بلاده ، فهرب فخر الدولة الى بلاد الديلم ، فاستولى عضد الدولة على بلاده وهى همذان والرى وما بينهما من البلاد وسلمها الى أخيه مؤيد الدولة وجعله نائبه فى تلك البلاد (٣٣) .

واستقرت الأمور تماما فى العراق وسلم من الفتن ، وعمرت مساجده واسواقه ، وأمر عضد الدولة أصحاب الخرائب بصرورة عمارتها ، وأجرى كثيرا من الإصلاحات ؛ ثم توفى بعد حمسة أعوام ونصف وذلك فى سنة ٣٧٢هـ / ٩٨٢م (٣٤) بعد أن عهد بالملك بعده لابنه صمصام الدولة أبى كالىجار (٣٧٢ - ٣٧٦هـ / ٩٨٢ - ٩٨٦م) ، وخلع الخليفة الطائع على صمصام الدولة « الخلع السبع والعمة السوداء وسور وطوق وتوج ، وعقد له لواءان وحمل على فرس بمركب ذهب ، وقبذ بين يديه مثله وقرىء عهده بتقليده الدعوة من جميع الممالك » (٣٥) .

(٣١) تكريت : مدينة كبيرة واسعة الأرجاء ، ودجلة منها فى حوافيها ، ولها قلعة حصينة على الشط ، هى قصبتها المنيرة ، ويطلق بالبلد سور ، وهى من المدن العتيقة ، اس جبر : الرحلة ص ٢١٩
(٣٢) ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ٩٢ ، ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ١٧١ ، وانظر : أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٢٩ .

(٣٣) ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ١٠٢ .
(٣٤) ابن الأثير : نفس المصدر ج ٧ ص ١١٣ .
(٣٥) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص ٨٤ .

الحلافات البويهية بعد وفاة عضد الدولة :

سار الصراع بين بنى بويه بعد وفاة عضد الدولة في ثلاثة مراحل :

المرحلة الأولى :

الصراع بين شرف الدولة وضمصام الدولة وبهاء الدولة :

بعد أن ولى ضمصام الدولة امرة الأمراء خلفا لأبيه أراد أن يحول بين أخيه الأكبر شرف الدولة أبى الفوارس شيرريل ادى كان بكرمان^(٣٦) آنذاك وبين الوصول الى فارس فأقطع فارس لأخويه أبى الحسين أحمد وأبى طاهر فيروزشاه ، ولكن شرف الدولة كان أسرع من هذين الأخوين ووصل الى فارس قبلهما وأعلن خروجه على ضمصام الدولة وقطع خطبته وخطب لنفسه وتلقب بتاج الملة ، ونجح شرف الدولة في استقطاب أبى الحسين أحمد وأقطعه البصرة بعد أن اسنولى عليها ، فتوجه ضمصام الدولة لحرب شرف الدولة والتقى خارج فرفوب^(٣٧) ولكن شرف الدولة انتصر عليه بمساعدة أبى الحسين بن عضد الدولة الذى بدأ نجمه يعلو فاستولى على الأهواز وعلى رامهرز وحدثته نفسه بأن يثول الملك اليه^(٣٨) .

وقد حاول الحليفة الطائع نفسه التدخل للاملاح بين شرف الدولة وضمصام الدولة ، ولكن الصلح لم يتم^(٣٩) .

واتسعت هوة الخلاف بين الأخوين واستغل شرف الدولة شغب الجند الأتراك على ضمصام الدولة في سنة ٣٧٦هـ/٩٨٦م وزاد طمعه في العراق ، ورأى ضمصام الدولة مصالحته والدخول في طاعته ولكن أصحابه حرضوه على غير ذلك ، وصمم الضمصام على التوجه الى أخيه ، ولكنه عندما

(٣٦) كرمان : صقيع كبير واقليم واسع بين فارس وسجستان ومكران وقصبتها كرمسير والسيرجان ، ياقوت : المشترك ص٣٧٢ وانه

أبو الفدا : تقويم البلدان ص٣٣٤ .

(٣٧) قرقوب : مدينة مشهورة قريبة من الطيب بين واسط و

الأهواز ، أبو الفدا : نقويم البلدان ص٣١٤ .

(٣٨) ابن الأثير : الكامل ج٧ ص١١٥ ، ابن الوردي : تنمة المختد

ج١ ص٣٣٦ - ٣٣٧

(٣٩) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص١٢٦ .

نوجه اليه اعتقاله شرف^(٤٠) الدولة وتوجه الى بغداد ، فاستقبله الخليفة الطائع استقبالا حافلا وجلس له جلوسا عاما وخلع عليه الخلع السلطانية ، وتوجه وسوره وعقد له بيده لواءين أسود وأبيض وقرىء عهده بين يديه^(٤١) ، وقد وصف أبو شجاع استقبال الطائع لشرف الدولة فقال : « ركب شرف الدولة في طيار^(٤٢) بعد أن ضربت له القبان على شاطئ دجلة وزينت الدور التي عليها في الجانبين بأحسن زينة »^(٤٣) .

وصارت بذلك امرة الأمراء لشرف الدولة في سنة ٣٧٧هـ / ٩٨٧م ، وانتهى حكم صمصام الدولة بعد حكم دام ثلاث سنين وأحد عشر شهرا^(٤٤) ؛ ولم يقبل شرف الدولة قتل صمصام الدولة بناء على مشورة البعض ، وأشار بسمله وهو في مرض موته خشية منه على دولته وقال : « فإن لم يكن القتل فالسمل »^(٤٥) ، ومات شرف الدولة دون أن يتم ذلك في سنة ٣٧٩هـ / ٩٨٩م ولكن أبا القاسم العلاء بن الحسن أشار بسمله فسمل فكان صمصام الدولة يقول : « ما أعماني ألا العلاء لأنه أمضى في حكم سلطان قد مات »^(٤٦) .

وآلت الأمور بعد وفاة شرف الدولة الى ابنه بهاء الدولة وأتاه الطائع في زبذب لتعزيته^(٤٧) ، ثم خلع عليه خلع السلطنة .

-
- (٤٠) الفارقي : تاريخ الفارقي ص ٥٥ .
 (٤١) الفارقي نفس المصدر ص ٥٥ .
 (٤٢) طيار : أحد مراكب الأنهار . ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية .
 (٤٣) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص ١٤٩ ، ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ١٣٣ .
 (٤٤) ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ١٣٠ ، أبو الفدا : المختصر ج ٢ ص ١٢٤ ، واذكر أبو الفدا أن صمصام الدولة حكم مدة ثلاث أعوام .
 (٤٥) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص ١٤٩ ، ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ٣٨ ، ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ١٧٣ .
 (٤٦) ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ١٣٨ .
 (٤٧) زبذب : نوع من مراكب الأنهار . متز : الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٣٩٨ ، ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٧٥ .

المرحلة الثانية من الصراع :

بدأت المرحلة الثانية بولاية بهاء الدولة في سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م بينه وبين صمصام الدولة الذي تمكن من الهرب من اعتقاله ، وفخر الدولة الذي كان يطمح الى ملك العراق منذ أيام سرف الدولة^(٤٨) .

وكان طمع فخر الدولة في العراق يعديه وزيره صاحب ابن عباد الذي كان يرنو ببصره الى اوزاره في بغداد ، وتمكن فخر الدولة من الاستيلاء على الأهواز ولكن جيش بهاء الدولة ألحق به الهزيمة بعد ذلك بعد أن عاوت عوامل الطبيعة هذا الجيش حيث أن « دجلة الأهواز زادت ذلك الوقت زيادة عظيمة وانفتحت البثوق منها فظنها عسكر فخر الدولة مكيدة فانهزموا »^(٤٩) ؛ وعاد فخر الدولة الى الري .

أما صمصام الدولة الذي هرب والتف حوله كثير من الديلم فقد أرسل اليه بهاء الدولة جيشا النقى به عدد سيرا^(٥٠) ، وتبادل الجيشان النصر ، واستقر الوضع على أن يصلح الأخوان بحيث يكون لصمصام الدولة بلاد فارس وأرجان^(٥١) ، ولبهاء الدولة خوزستان والعراق ، وأن يكون لكل واحد منهما اقطاع في بلد صاحبه^(٥٢) .

على أن الصراع نشأ من ناحية أخرى سنة ٣٨٣هـ/٩٩٣م حين أخرج

(٤٨) محمد حلمي أحمد : الخلافة والدولة في العصر العباسي ص ١٨٧

(٤٩) ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ١٤٠ .

(٥٠) مدينة متهورة بفارس بايران ، منها الى أصبهان اثنان وسبعون فرسحا ، بناها في الاسلام محمد بن القاسم ابن عم الحجاج بن يوسف ، وسميت بسرار نسبها بحوف الأسد . الاضطخري : المسالك والممالك ص ٧٦ - ٧٧ ، اس حوقل : صوره الأرض ص ٣٤٨ الى ٣٤٩

وانظر

Le Strange, Lands of The Eastern Caliphate, P. 284 .

(٥١) أرحان : في أحر حد فارس من جهة خورستان وهي بين فارس

وخورستان . أبو الفدا نفوس البلدان ص ٣١٨ . وانظر

Le Strange. Ibid. P 284 & 304 & 306 .

(٥٢) اس الأثير : الكامل ج ٧ ص ١٤٥

الديلم أبناء بختيار من معتقلهم وانضموا اليهم فحاربهم صمصام الدولة ؛
وقبض على أبناء بختيار من جديد وقتل اثنين منهم (٥٣) .

على أن بهاء الدولة نقض في سنة ٩٩٢/٣٨٢م الصلح مع صمصام الدولة ، فجهز الصمصام جيشا تمكن من هزيمة جيش بهاء الدولة وأسر قائده وامتلئ خوزستان فوجه اليه بهاء الدولة جيشا في سنة ٩٩٤/٣٨٤م بقيادة قائد تركي يسمى طغان الحق الهزيمة بجيش صمصام الدولة الذي كان في أغلبه من الديلم واستعاد الأهواز وجميع أعمالها (٥٤) .

وقد انتقم صمصام الدولة من الأتراك بفارس لمناصرتهم جيش طغان ، ثم جهز جيشا من الديلم استعاد به الأهواز في (٥٥) سنة ٩٩٥/٣٨٥م ؛ ثم استولى قائده لشكرستان على البصرة من نواب بهاء الدولة (٥٦) .

وقد شهد عام ٩٩٧/٣٨٧م وفاة فخر الدولة وآل ملكه الى ابن صغير في الرابعة من عمره (٥٧) فسيطرت أمه على الأمور .

وتمكن في عام ٩٩٨/٣٨٨م ابنان لبختيار من الهرب من معتقلهما للمرة الثانية والتف حولهما الديلم الذين تمردوا على صمصام الدولة ؛ ووقع صمصام الدولة أسيرا فأمر أبو نصر بن بختيار بقتله انتقاما لأبيه وقال له : « هذه سنة سنها أبوك » يعنى ما كان من قتل عضد الدولة لبختيار (٥٨) ، ونالت يد الانتقام أم الصمصام حيث سلمها أبو نصر بن بختيار الى لشكرستان فعذبها للحصول منها على أموال ولكنها لم تعطه درهما ، فقتلها وبني عليها دكة في داره (٥٩) .

(٥٣) كان أولاد بختيار ستة ، وكان شرف الدولة عفا عنهم قبل موته .

أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص ١٠٩ .

(٥٤) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص ٢٥٧ .

(٥٥) ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ١٧٠ .

(٥٦) ابن الأثير : نفس المصدر ج ٧ ص ١٨١ .

(٥٧) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ١٧٨ .

(٥٨) ابن الأثير : الكامل ج ٧ ص ١٩٢ ، أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم

ص ٣١٥ . وانظر : أبو الفدا : المختصر ج ٢ ص ١٣٤ .

(٥٩) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص ٣١٥ ، وابن الأثير : الكامل

ج ٧ ص ١٩٣ ، وقد أخرجها بهاء الدولة بعد ملكه فارس ودفنها

في مداقن بنى بويه ، أبو شجاع : ص ٣١٥ .

وتمكن أبو نصر بختيار من امتلاك فارس ، فأرسل اليه بهاء الدولة جيشا تمكن من هزيمة أبي نصر بختيار في شيراز ، ولكن أبا نصر تمكن من امتلاك كرمان (٦٠) ، فأرسل اليه بهاء الدولة جيشا بقيادة الموفق على ابن اسماعيل فهزم أبو نصر بعد أن عذر به بعض أصحابه وقتلوه وأرسلوا رأسه إلى الموفق ، واستعاد الموفق كرمان . واحتفل بهاء الدولة به لدى عودته وكرمه (٦١) .

ثم توفي بهاء الدولة في سنة ٤٠٣هـ / ١٠١٢م (٦٢) ، وكادت وفاته ايذانا ببداية المرحلة الثالثة من النزاعات الأسرية .

المرحلة الثالثة من النزاع :

بدأ الصراع في هذه المرحلة بين أبناء بهاء الدولة : سلطان الدولة أبي شجاع (٤٠٣ - ٤١٥هـ / ١٠١٢ - ١٠٢٤م) ، وجلال الدولة أبي طاهر ، وأبي الفوارس ؛ وكان سلطان الدولة قد ولي جلال الدولة البصرة وقوام الدولة أبا الفوارس كرمان ؛ بينما ولي أخاه مشرق الدولة أمرة الأمراء ببغداد وأقام سلطان الدولة في شيراز (٦٣) ؛ ولعل تفضيل سلطان الدولة لشيراز أن من كان يملكها لا يغلب بالاضافة الى أنه يستطيع التحكم في المنطقة العراقية وفي منطقة الجبل على حد سواء (٦٤) .

وقد بدأ أبو الفوارس الصراع مع سلطان الدولة في سنة ٤١٧هـ / ١٠١٦م حيث أطمعه الديلم في امتلاك بلاده ، ودخل أبو الفوارس شيراز فعلا غير أنه ما لبث أن هزم وعاد إلى كرمان ، وتتبعه سلطان الدولة

-
- (٦٠) كرمان . ولاية واسعة معمورة في جنوبها بحر فارس .
Le Strange, Lands of the Eastern Caliphate, P.337
- (٦١) ثم لم يلبث بهاء الدولة أن قبض على الموفق بعد ذلك وقتله في سنة ٣٩٤هـ . ابن الأثير : الكامل ج٧ ص ٢٠٦ .
- (٦٢) عن نيف واثنين وأربعين . ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ٢٦٨ ، الذهبي : دول الاسلام ج١ ص ٢٤١ . وانظر : ابن عماد الحنبلي : شذرات الذهب ج٣ ص ١٦٦ .
- (٦٣) ابن الأثير : الكامل ج٧ ص ٣١٢ وانظر : أحمد الشريف : العالم الاسلامي في العصر العباسي ص ٥٣٣ .
- (٦٤) ابراهيم الشريف : العالم الاسلامي في العصر العباسي ص ٥٣٣ .

إلى كرمان ، فالتجأ إلى محمود بن سبكتكين في خراسان فأمده بجيش استعاد به كرمان ثم تمكن من دخول شيراز مرة أخرى غير أنه ما لبث أن هزم وتملك سلطان الدولة فارس وكرمان ثم أعاد كرمان إلى أخيه أبي الفوارس مرة أخرى بعد مصالحته (٦٥) .

ثم نشب الصراع في سنة ٤١٢هـ / ١٠٢١م بين أبي على مشرف الدولة وبين سلطان الدولة حين قطع مشرف الدولة الخطبة لأخيه في بغداد وخطب لنفسه بها ، ولكن سلطان الدولة قرر معه الأمور في سنة ٤١٣هـ / ١٠٢٢م على أن يكون العراق جميعه لمشرف الدولة ، وأن يكون فارس وكرمان لسلطان الدولة (٦٦) .

وبوفاة سلطان الدولة في سنة ٤١٥هـ / ١٠٢٤م صارت فارس إلى ابنه أبي كاليجار وكرمان لأخيه أبي الفوارس (٦٧) بعد صراع قصير .

وشهدت سنة ٤١٦هـ / ١٠٢٥م وفاة مشرف الدولة فخطب من بعده لأخيه جلال الدولة ثم قطعت الخطبة له وخطب لأبي كاليجار بن سلطان الدولة ثم أعيدت إلى جلال الدولة مرة أخرى في جمادى الأولى سنة ٤١٨هـ / ١٠٢٧م .

ومما يستلفت النظر هنا أن الخطبة لجلال الدولة ثم لأبي كاليجار ثم لجلال الدولة ثانية تمت بموافقة من الخليفة العباسي القادر بالله (٣٨١ - ٤٢٢ هـ) بناء على رغبة الأتراك الذين تحكموا آنذاك في مقدرات الأمور في العراق ، وقد أرسلوا إليه في إعادة الخطبة إلى جلال الدولة يقولون : « ان أمير المؤمنين صاحب الأمر ونحن العبيد ، وقد أخطأنا ونسال العفو وليس عندنا الآن من يجمع كلمتنا ، ونسال أن ترسل إلى جلال الدولة ليصعد إلى بغداد ويملك الأمر ويجمع الكلمة ويخطب له فيها » (٦٨) .

(٦٥) ابن الأثير : الكامل ج٧ ص ٢٩٤ .

(٦٦) ابن الأثير : الكامل ج٧ ص ٣١٢ .

(٦٧) ابن الأثير : نفس المصدر ج٧ ص ١١٧ ، ابن العبري : مختصر

تاريخ الدول ص ١٨٠ .

(٦٨) ابن الأثير : نفس المصدر ج٧ ص ٣٢٩ .

وتمكنت الأمور لجلال الدولة في بغداد ، وتمر بضرب الطبل في أوقات الصلوات الخمس بعد أن كان الخليفة اعترض في أول الأمر (٦٩) . واستولى أبو كاليبجار في سنة ٤١٩هـ / ١٠٢٩م على البصرة من يد الملك العزيز بن جلال الدولة مستغلا الفتنة بين الديلم والأتراك ، وفي نفس الوقت لم يتمكن جلال الدولة من استعادتها بسبب تمرد الجند الأتراك عليه مطالبين بزيادات أرزاقهم كما هي عادتهم ، واستولى أبو كاليبجار كذلك في نفس هذا العام على كرمان دون قتال على اثر وفاة صاحبها أبي الفوارس ؛ كما امتلك واسط في سنة ٤٢٠هـ / ١٠٣٠م ، وخطب له في البطيحة ، وبدا أن نجم أبي كاليبجار في صعود واطمעתه انتصاراته المتوالية في الانحدار الى بغداد بعد أن استشعر ضعف جلال الدولة عن النصدى له ، وكان أصحابه كذلك أشاروا عليه بذلك وقالوا له : « ما عدل جلال الدولة عن الفнал الا لضعف فيه والرأى أن تسير الى العراق فتأخذ من أموالهم ببغداد أضعاف ما يأخذون منا » (٧٠) ؛ وفي تلك الأثناء وصلته الأنباء أن محمود بن سبكتكين ينوى قصد بغداد ، فرأى أبو كاليبجار مخاطبة جلال الدولة الذي كان توجه الى الأهواز لجمع كلمة بنى بويه في وجه هذا الخطر المرتقب ، فلم يجد منه استجابة بل ان جلال الدولة « أخذ والدته أبي كاليبجار وابنته وأم ولده وزوجته فماتت أمه ، وحمل من عداها الى بغداد » (٧١) ؛ فتوجه أبو كاليبجار للقاء جلال الدولة على الأهواز فهزمه جلال الدولة ثم توجه الى واسط ، وعاد أبو كاليبجار الى الأهواز ، وأعاد جلال الدولة ابنه الملك العزيز الى ولاية واسط ثم عاد الى بغداد (٧٢) .

وفي سنة ٤٢١هـ / ١٠٣٠م استعاد جلال الدولة البصرة من أبي كاليبجار ولكن جنده سرعان ما وقع بينهم الاختلاف فاستردت منهم البصرة (٧٣) . ويلاحظ أنه بدءا من سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣١م بدا أن دولة بنى بويه بدأت

(٦٩) ابن الأثير : الكامل ج٧ ص ٣٢٩ ، أبو الفدا : المختصر ج٢ ص ١٥٦ .

(٧٠) ابن الأثير : نفس المصدر ج٧ ص ٣٣٧ ، ابن الوردي : تنمية المحتصر ج٢ ص ٣٣٩ .

(٧١) ابن الأثير : نفس المصدر ج٧ ص ٣٣٧ .

(٧٢) ابن الأثير : الكامل ج٧ ص ٣٣٧ .

(٧٣) ابن الأثير : نفس المصدر ج٧ ص ٣٥١ .

في الاضمحلال ويدت في النقصان^(٧٤) ؛ ويعود السبب في ذلك الى أن الأتراك صاروا القوة المسيطرة على الدولة فهم يجعلون الخطبة لمن يشاءون ويقطعونها بمن يشاءون ، فاعلنوا الخطبة باسم أبي كاليجار سنة ١٠٣٢هـ / ١٠٣٢م ، ولما لم يصل أبو كاليجار سريعا الى بغداد أعلنوها باسم جلال الدولة واعتذروا اليه^(٧٥) ؛ وفي سنة ١٠٣٣هـ / ١٠٣٣م شغب الجند الأتراك على جلال الدولة وطلبوا منه خروجه الى واسط وأن يترك في بغداد بعض أصغر أولاده ، فاسترضاهم خلال الدولة وحلف لهم على اخلاص النية والاحسان اليهم فرضوا عليه^(٧٦) .

ويذكر ابن الوردي في أحداث سنة ١٠٣٥هـ / ١٠٣٥م أن أمر الخلافة والسلطنة قد انحل ببغداد ، وأن العيارين أخذوا في النهب بلا مانع والسلطان جلال الدولة لا يمثل له أمر والخليفة كذلك وقطعت العرب الطرقات^(٧٧) .

وبلغ الأمر في سنة ١٠٣٦هـ / ١٠٣٦م أن ثار الجند ببغداد على جلال الدولة وصمموا على أن يخرج من بغداد ، فاستمهلهم ثلاثة أيام يتدبر خلالها من الأموال ما يرضيهم فلم يقبلوا ورموه بالحجارة وأصابوه بها ، فخرج هاربا من بغداد ، فكسروا أبواب داره وقلعوا كثيرا من ساجها وأبوابها^(٧٨) .

وتدخل الخليفة القائم بأمر الله (٤٢٢ - ٤٦٧هـ / ١٠٣١ - ١٠٧٤م) بين جلال الدولة والجند الأتراك وأعاد جلال الدولة ثانية الى بغداد .

وحاول أبو كاليجار وجلال الدولة إصلاح الأمور بينهما فاصطلحا في سنة ١٠٣٧هـ / ١٠٣٧م وأكد هذا الصلح بزواج أبي منصور بن أبي كاليجار من ابنة جلال الدولة^(٧٩) ، وربما كان هذا حين استشعرا أن حروبهما

(٧٤) الفارقي : تاريخ الفارقي ص ١٥٤ .

(٧٥) ابن الأثير : المصدر السابق ج ٨ ص ٢ .

(٧٦) ابن الأثير : نفس المصدر ج ٨ ص ٥ .

(٧٧) ابن الوردي : تنمة المختصر ج ١ ص ٣٤١ ، المقرئزي : السلوك ج ١ ص ٤٩ .

(٧٨) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٥ ، أبو الفدا : المختصر ج ٢ ص ١٥٨ .

(٧٩) ابن الأثير : نفس المصدر ج ٨ ص ١٤ .

تزيد من اسنشاء الجند الاتراك ولو أن هذا الصلح جاء متأخرا .

ولعله ماكن من الغريب وجلال الدولة على هذه الدرجة من الضعف أن يطلب من الخليفة القائم أن يلقيه بلقب شاهنشاه أى ملك الملوك ، ولعل الأغرب من ذلك أن الخليفة أجابه الى ذلك^(٨٠) .

وفاة جلال الدولة وتفرد أبى كاليجار :

وصع الفدر حدا للمصراع الذى دار بين جلال الدولة وأبى كاليجار عندما توفى جلال الدولة سنة ١٠٤٣هـ/١٠٤٣م وقد تعجب ابن الأثير من دوام ملكه سبعة عشر عاما تقريبا رغم ضعفه وتسلب الجند الاتراك عليه فقال : « ودوام ملكه الى هذه العاية علم أن الله على كل شىء قدير يؤتى الملك من يشاء ويبصره من شاء »^(٨١) فنولى أبو كاليجار مكانه بعد أن اشترى ولاء القواد والجند الاتراك بأموال عجلها اليهم فى حين تخلى جند العزيز ابن جلال الدولة عنه واضطر الى الهرب^(٨٢) .

واستقرت الأمور لأبى كاليجار فى بغداد وأرسل الى الخليفة القائم يسترضيه بعشرة آلاف درهم وهدايا كثيرة فلقبه الخليفة محبى الدين وأمر

بأن يخطب له فى بغداد ، فخطب له فيها فى شهر صفر سنة^(٨٣) ١٠٤٣هـ / ١٠٤٤م .

:

وفى هذه الآونة كان الخطر السلجوقى انحد شكلا عمليا يتهدد سلطان بنى بويه وجاؤل أبو كاليجار ابعاد هذا الخطر أو تأخير فصالح طغرلبيك وصاهره^(٨٤) . ثم توفى أبو كاليجار فى سنة ١٠٤٨هـ/١٠٤٨م ليخلفه ابنه أبو نصر خره فيروز فى آخر مراحل حياة دولة بنى بويه .

(٨٠) ابن الأثير : نفس المصدر ج ٨ ص ١٦ ، المقرئى : السلوك ج ١

ق ١ ص ٤٩ .

(٨١) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٣٧ .

(٨٢) ابن الأثير : نفس المصدر ج ٨ ص ٤٠ .

(٨٣) ابن الأثير : نفس المصدر ج ٨ ص ٤٠ ، ابن الوردي تامة المختصر

ج ١ ص ٣٤٩ .

(٨٤) انظر تفصيلات ذلك فى الفصل الثالث من هذا الكتاب .

الملك الرحيم ونهاية الدولة :

تلقب أبو نصر بالملك الرحيم رغم معارضة الفائم أولا - كما قدمنا - ، ولم تخل تلك المرحلة من صراع الأخوة الأعداء فقد دار الصراع فيها بين ستة من الأخوة هم الملك الرحيم والأمير أبي منصور فلادستون وأبي طالب كامرو وأبي المظفر بهرام وأبي على كيخسرو وأبي سعد خسرو شاه بالإضافة الى أبي على بن أبي كاليحار الموجود بالبصرة^(٨٥) وكانت منازعاتهم ندور للسيطرة حول سُيراز والأهواز واصطخر وواسط والبصرة ، ورغم عدم خطورتها الا أنها أضافت مزيدا من الضعف في البيت البويهى أمام الخطر السلجوقي^(٨٦) الذى يشارف دق أبواب بغداد .

وزاد الأمر في بلاد العراق خطورة آنذاك تفجر فتنة البساسيرى^(٨٧) الذى خطب للمستنصر بالله الفاطمى مدة سنة هجرية في بغداد لبس فيها الخطيب والمؤذنون الثياب البيض وزيد في لأاذان « حى الى خير العمل »^(٨٨) ، وقد حمل الخليفة العباسى القائم أسيرا الى الحديثة بين الرقة والفرات^(٨٩) حتى أعاده طغرل بك السلجوقي .

-
- (٨٥) ابن الأثير : الكامل ج٨ ص ٤٨ .
(٨٦) انظر Ency de Li, Art Seldjuks.
(٨٧) هو مقدم الأتراك ببغداد ، ويقال انه كان من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بوية ونسبه الى بلدة بفارس يقال لها « بسا » وبالعربية « فسا » كان منها سيده فنسب الملوك اليه ، واشتهر بالبساسيرى ، وهى نسبة شاذة على خلاف الأصل اذ أن النسبة اليها فى العربية « فسوى » . ابن خلكان : وفيات الأعيان ج١ ص ٧٢ وروض المفاظر فى حوادث سنة ٤٥٠ هـ ، وانظر : العصامى : فتنة البساسيرى : سمط النجوم العوالى ج٣ ص ٤٣٢ - ٤٣٤ .
(٨٨) أبو الحسن على بن طاهر : الدول المنقطعة ص ١٥٣ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٨٨ ، وكان دخول أصحاب البساسيرى ببغداد فى ٦ ذى القعدة سنة ٤٥٠ هـ وخرج أهله وأولاده منها فى مثل ذلك من السنة التالية . سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ج٩ ص ١٨١ .
(٨٩) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٨٩ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ج٢ ص ٢٥٣ ، وانظر ابن الحوزى : مرآة الزمان ج٩ ص ١٨١ وانظر كذلك ص ١٨٥ - ١٨٦ .

وقد دخل طغرلبيك بغداد باستدعاء من الخليفة القائم بأمر الله في سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ليضع حداً للفوضى الضاربة في بلاده ، ولدى وصول طغرلبيك حلوان (٩٠) حدث الهلع والعزع في بغداد ، وفي تلك الاثناء ترك الملك الرحيم واسط الى بغداد وقد انفصل عنه البساسيري ، وكان تحرك الملك الرحيم بناء على كتاب وصله من الخليفة القائم يقول فيه : « أن البساسيري خلع الطاعة وكاتب الأعداء - يعنى المصريين - وأن الخليفة له على الملك عهد وله على الخليفة مثلها ، فان أثره فقد قطع ما بينهما ، وان أبعده وأصعد الى بغداد تولى الديوان تدبير أمره » (٩١) ، فقال الملك الرحيم : « نحن لأوامر الديوان متبعون وعنه منفصلون » (٩٢) .

وهكذا أظهر الملك الرحيم ولاءه للخليفة ولكن انفصال البساسيري عنه كان ايذاناً بزوال قوته ، ولعل الملك الرحيم لو آزر البساسيري في حركته التى أثبتت قوتها لكان من المحتمل أن يتحقق أمل البويهيين الأوائل في تحويل الخلافة عن بنى العباس الى بنى فاطمة .

على أية حال دخل طغرلبيك بغداد وخطب له على منابرها وقبض على الملك الرحيم وسجنه حتى مات (٩٣) ليبدأ عهد وينتهى عهد وانتهى عهد بنى بويه رسمياً في آخر شهر رمضان سنة (٩٤) ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ذلك العهد الذى تحولت فيه بلاد الخلافة الى ساحات قتال بين « الأخوة الأعداء » فى شتى مراحل حكمهم وبين الجنود المنقسمين عنصرياً الى ديلم وترك والمختلفين مذهبياً بين شيعة وسنة ، فسالت دماء وانتهدت أموال وفقد الأمن والأمان وكان الشعب هو الخاسر فى شتى الأحوال .

وكانت عدة من ملك بغداد من بنى بويه أحد عشر ، ومدتهم ببغداد

(٩٠) حلوان العراق آخر حدود السواد مما يلى الجبال بينه وبين

بغداد خمس مراحل . ياقوت : المشترك ص ١٤٢ .

(٩١) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٦٦ ، ابن ميسر : أخبار مصر ج ٢ ص ٧ .

(٩٢) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ص ٦٦ .

(٩٣) المقرئى . السلوك ج ١ ص ٤٩ .

(٩٤) ابن الوردي . تنمة المختصر ج ٢ ص ٣٥٥ ، والمقرئى : السلوك

ج ١ ص ٤٩ وانظر

Amir Ali, A Short History of The Saracenes, P 310

الى أن انقرضوا على يد السلجوقية مائة وثلاث سنين وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوماً ، أولها يوم: وصل معز الدولة الى بغداد ، وآخرها يوم وصل طغرلبيك بغداد ، أما مدتهم منذ ملك عماد لدوبة بلاد فارس مائة وخمس عشر سنة وثلاثة أشهر وستة أيام^(٩٥) .

(٩٥) المقريزي : السلوك ج١ ق ١ ص ٤٩ وانظر : ابن الوردي : تنمة المختصر ج٢ ص ٣٥٥ .

الفصل السادس

صورة حضارية

الحياة العلمية في عصر بنى بويه

الفصل السادس

الحياة العلمية

« في عصر بنى بويه »

ونختم هذا البحث بصورة راهبه تزيل قتامة الصور السابقة ونعنى بهذه الصورة الحياة العلمية في هذا العصر التي ازدهرت ازدهارا كبيرا حتى ان القرن الرابع الهجرى (الحادى عشر الميلادى) يعتبر أوج الحضارة العربية ، وبرجع ذلك الى أن بنى بويه لم تكن لهم دولة واحدة مركزية تابعة لأمير واحد بل كانت دولة انقسامية منذ نشأتها فقد تقسمها منذ البداية أعضاء الأسرة البوبهية الثلاثة : على بن بويه ، وحسن بن بويه ، وأحمد بن بويه ، ثم تناقص على ولايتها الامراء من بنى بويه فوقع الصراع والتطاحن ، ذلك الصراع الذى ترتب عليه تدهور نفوذهم السياسى .

فاذا أضفنا الى ذلك ظاهرة الدويلات المستقلة^(١) أو الدول الاقليمية التى شهدها ذلك العصر تبين لنا مدى التمزق السياسى الذى أصاب دولة العباسيين فى ذلك الوقت .

ولكن التمزق السياسى لا يستتبع الضعف فى النواحي العلمية فقد شهدت عصور التدهور السياسى ازدهارا فى النواحي العقلية والعلمية^(٢) .

ونظرة واعية الى تعدد العواصم فى دولة العباسيين آنئذ تظهر أن الدولة صار فيها أكثر من عاصمة حضارية يتدفق على كل منها الأدباء والعلماء حيث يلقون من كل أمير الترحيب والتكريم حيث كان كل أمير يحرص على أن يضمهم مجالسهم اعلاء لشانه وشان امارته .

وهكذا وجدنا بجانب بغداد البصرة عواصم حضارية أخرى كالرى وأصبهان وشيراز وبخارى وجرجان^(٣) وحلب .

-
- (١) كالمسانية ببخارى والزيارية بحرجان والحمدانية بحلب وما بين النهرين ، والغرنوية بأفغانستان والهند .
(٢) كازدهان عصر الملوك الطوائف فى الأندلس .
(٣) جرجان : مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان . ياقوت : معجم البلدان ج٢ ص ١٠٩ .

وعلى الجملة ، فقد كان هذا العصر حيا حافلا بالحركات العلمية في شتى نواحي المعرفة ، وامتاز بأنه احتشد فيه طائفة من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء ورجال اللغة والبيان قل أن يحتشدوا في عصر واحد(٤) .

وسوف نحاول القاء نظرات نجول بها في شتى ميادين المعرفة في هذا العصر لتتضح صورة هذه النهضة العلمية الشاملة .

أولا : الشعر والشعراء :

كان الملوك البويهيون أنفسهم شعراء يشتغلون بالكتب ويهتمون بها ، وينادمون الأدباء والشعراء : فكان عضد الدولة نفسه شاعرا مبرزاً حاز إعجاب صاحب بن عباد ، كما كان ذواقة للشعر يدل على ذلك قوله يمتدح أشعار صاحب : « لا غرو إذا فاض بحر العلم على لسان الشعر أن ينتج مالا عين وقعت على مثله ولا أذن سمعت بشبهه » وقال في قصيدة للمصاحب كذلك : « لو استحق شعر أن يعبد لعذوبة مناهله ، وجلالة قائله ، لكانت قصيدته هي ، إلا أنى اتخذتها عند امتناع ذلك قبله ، أوجه إليه صلوات التعظيم ، وأقف عليها طوائف الاجلال والتكريم »(٥) .

والف أبو اسحق الصابي كناية التاجي الذي يمتلىء بآثار عضد الدولة ، ويقول الثعالبي فيما حفل به هذا الكتاب : « من أراد أن ينظر في أخبار عضد الدولة ، ويقف على محاسن آثاره ، فليتأمل الكتاب التاجي من تأليف أبي اسحق الصابي لتجتمع له مع الاحاطة بها بلاغة من قد تسهل له حزونها ، ولاينته متوبها ، وأطاعته عيونها »(٦) .

وكان عضد الدولة يعقد المجالس التي ينشد فيها الشعراء قصائد من شعره ومن أشعار غيره ، ونتمثل في هذا المقام بقول عضد الدولة يعتذر الى أبي تغلب بن حمدان من اجابته الى معاودة بختيار عليه والتماسه كتاب الامان منه . قال :

(٤) محمد عبد الغنى حسن : الشريف الرضى ص ١٦ .

(٥) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ٢ ص ٢١٧ .

(٦) الثعالبي نفس المصدر ج ٢ ص ٢١٧ .

ألفاق حين وطئت خناقه يبغى الأمان وكان يبغى ناصرتها:
فلأركبن عزيمة عضدية باحياً ندع الأوف رواعماً^(٧)

قال أبو الفدا : « وكان عضد الدولة محباً للعلوم وأهلها فقصدته
العلماء من كل بلد ، وألفوا له الكتب منها الإيصاح في النحو والبجّة في
القراءات والملكى في الطب والناجى في تاريخ الديلم وغير ذلك »^(٨) .

وليس أدل على تقدير عضد أدبونه للسعر من أنه سمى أن يكون هو
المصلوب بدلاً من الوزير ابن بقيه فقال فيه قصيدة محمد بن عمران
الاببارى التى يقول فيها :

علو في الحياة وفي الممات لحق أنت احدى المعجرات
كان الناس حولك حين قاموا . وفود نذاك أيام الصلات
كانك قائم فيهم خطيباً وكلهم قيام للصلاة^(٩)
وقد حفل بلاط عضد الدولة بمن يقصده من الشعراء ، وكان ممن
قصده المتنبى الذى قال :

وقد رايت الملوكة قاطبة وسرت حتى رايت مولاها^(١٠)

وكذلك كان عز الدولة أبو منصور حبيباً شاعراً ، وله أشعار حسنة
كثيرة ، وكان يتصل برجال العلم والأدب^(١١) .

وكان ناج الدولة أبو الحسين أحمد بن عضد الدولة شاعراً متميزاً ،

(٧) الثعالبى : يتيمه الدهر ج٢ ص ٢١٨ .

(٨) أبو الفدا : المختصر ج٢ ص ١٢٣ .

(٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٥ ص ١٢٠ ، أبو المحاسن :
النجوم الزاهرة ج٤ ص ١٣٠ - ١٣١ .

وانظر : بدوى طبانة : الصاحب بن عباد .

(١٠) الثعالبى يتيمه الدهر ص ٢٧٤ .

(١١) الثعالبى يتيمه الدهر ج٢ ص ٢١٩ ، بدوى طبانه . نفس المرجع
ص ٣٤ .

وصفه الثعالبي بأنه : « آذنب آل بويه وأشعرهم » (١٢) ، وقد أدت به حرفة الأدب الى أن حبسه أخوه أبو الفوارس (١٣) . وكذلك كان غرهم من آل بويه .

ولاشك أن ملوكا هذا أدبهم ، وتلك آثار شاعريتهم لجدير بالأدب أن يزدهر في دولتهم ، وأن بعز بنصرتهم ، وأن يطلب الزلفى به اليهم كل صاحب موهبة وفن ، وهكذا كان (١٤) .

ولم يكن أمر الشعر وقفا على الأمراء من آل بويه فقد كان كذلك وزرأؤهم وكان من أشهر هؤلاء الوزراء الشعراء الوزير المهلبى الذى كان « يترسال ترسلا مليحا ، ويقول الشعر قولاً لطيفاً ، يضرب بحسنه المثل ، ولا يستحلى من العسل ، يتغذى الروح ويجلب الروح » (١٥) .

وممن وصف بالأدب كذلك أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الذى كان يجرى مجرى الوزراء حتى اعتبره الثعالبي أحد أعيان الممدحين المقدمين فى الآداب والكتابة والبراعة والكفاية وجميع أدوات الرياسة (١٦) .

ومنهم أبو أحمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازى كاتب معز الدولة الذى كان « آخذ بطرق النظم والنثر » (١٧) .

وكانت مجالس الشعر والآداب مشهورة لدى هؤلاء الوزراء فكان القاضى التنوحي من ندماء الوزير المهلبى وغيره من وزراء العراق يحبونه كثيراً ويتعصبون له « وبعدونه ريحانة الندماء ، وتاريخ الظرفاء » (١٨) ، وكان يحضر مجالسه مع الوزير المهلبى جم غفير من الصحاب يلهون ويقصفون فى غير ما تحفظ ، ووصف الثعالبي تلك المجالس بقوله : « فاذا تكامل الأنس ، وطاب المجلس ، ولذ السماع ،

-
- (١٢) الثعالبي : نفس المصدر ج٢ ص ٢٢٠ .
(١٣) الثعالبي : نفس المصدر ج٢ ص ٢٢٠ .
(١٤) محمد عبد الغنى حسن : الشريف الرضى ص ٣٨ .
(١٥) الثعالبي : ينيمة الدهر ج٢ ص ٢٢٤ .
(١٦) الثعالبي : نفس المصدر ج٢ ص ٣١٣ .
(١٧) الثعالبي : نفس المصدر ج٢ ص ٣٢٦ .
(١٨) الثعالبي : نفس المصدر ج٢ ص ٣٣٦ .

وأخذ منهم الطرب مياخذه وهبوا ثوب الوتر للعقار « (١٩) » ، وكانت القصائد بين الفاضى السوحى والوربر المهلبى نحل محل الرسائل بينهما (٢٠) ، وأشبه الفاضى النوحى ابنه أبو على المحسن (٢١) .

وكان من أشهر شعراء هذا العصر الشاعر أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامى الذى وصف بأنه « من أشعر أهل العراق قولاً بالأطلاق ، ونهاده بالانحقاق » ، وقال الشعر وهو ابن عنبر سنين واتصل بأمراء آل بويه ومدح ركن الدولة واعتبر أشهر من مدحه بقوله :

ضربوا لك الأمثال فى أشعارهم لكننى بك أصرب الأمثالا (٢٢)

وفد ذكره ابن خلكان وقال عنه : « وكان عين شعراء العراق » وبعد أن ذكر له شعرا قال . « وعلى الحقيقة هذا الشعر هو السحر الحلال كما يقال » (٢٣) .

ويحتتم الكلام عن الأدب والأدباء بعلمين من أعلامه هما أبو الفضل ابن العميد الذى لم يقاربه أحد من الأدباء فى زمانه حتى لقب بالجاحظ الثانى وكان الصاحب ابن عباد من يعرض أتباعه ، وقد قيل « بدبت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد » (٢٤) قال عنه الثعالبى :

« ... واحد العصر فى الكتابة وجميع أدوات الرئاسة وآلات الوزارة ، والصارب فى الآداب بالسهم الفائرة ، والأخذ من العلوم بالأطراف القوية ، ويوعى الجاحظ الأخير والأستاذ والرئيس ، يضرب به المثل فى البلاغة ، ويسهئ إليه فى الإثارة بالفصاحة والبلاغة ... وما أحسن ما قاله له الصاحب وقد سأل عن بعداد عند مصرفه عنها « بعداد فى البلاد كالأستاذ فى العباد » (٢٥) .

-
- (١٩) الثعالبى : نفس المصدر ج ٢ ص ٣٣٧ .
 (٢٠) الثعالبى : يتيمة الدهر ج ٢ ص ٣٤١ - ٣٤٢ .
 (٢١) الثعالبى : نفس المصدر ج ٢ ص ٣٤٦ .
 (٢٢) الثعالبى : نفس المصدر ج ٢ ص ٤٠٠ .
 (٢٣) انظر وفيات الأعيان ج ٤ ص ٥٢ - ٥٣ .
 (٢٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٠٥ - ١٠٧ ، ابن العماد الحنبلى : شذراب الذهب ج ٣ ص ٣١ .
 (٢٥) الثعالبى : يتيمة الدهر ج ١ ص ١٥٩ ، وانظر : مير . الحصاره الاسلامية ج ١ ص ٣٢٢ .

وقد تشبه ابن العميد بالبرامكة ففتح بابه للعلماء والشعراء والكتاب (٣٦) . والصاحب ابن عباد الذى كان من أشهر من ظهر من الكتاب فى هذا العصر وكان مقصدا للشعراء وأرباب البيان ، قال عنه صاحب اليتيمة : « هو صدر المشرق وناج المجد ، وغرة الزمان ، وينبوع العجل والاحسان ، ومن لا حرج فى مدحه بكل ما يمدح به مخلوق ، ولولاه ما قامت للفضل فى دهرنا سوى » ثم قال مبينا كيف كان الصاحب قبلة الشعراء ولماذا : « ولما كان بادرة عطاردة فى البلاغة ، وواسطة عقد الدهر فى السماحة ، حلب اليه من الآفاق واقاصى البلاد كل خطاب جزل وقول فصل ، وصارت حضرته مشرعا لروائع الكلام وبلغ الأفهام ، وثمار الخواطر ، ومجلسه مجمعا لصوب العقول وذوب العلوم ودرر القرائح ، فبلغ من البلاغة ما يعد فى السحر . . . واحتف به من نجوم الأرض وأفراد العصر وأبناء الفضل وفرسان الشعر من يربى عددهم عن شعراء الرشيد » (٣٧) .

وبلغ من تقدير عضد الدولة للصاحب عندما جاءه الصاحب فى نهاوند سنة ٣٧٠هـ أن تلقاه بنفسه على بعد من البلد وعظمه هو وأصحابه ، وكان أصحاب عضد الدولة يواصلونه ويغشونه فى مدة مقامه بينما لم يركب هو إلى أحد منهم (٣٨) .

وخلع عضد الدولة على الصاحب الخلع الجليلة وحمله على فرس بمركب ذهب ونصب له دسكا كاملا فى خركاه (٣٩) يتصل بمضاريه وأجلسه فيه وأقطعه ضياعا جليلا فى نواحى فارس (٤٠) .

وصنف الصاحب العديد من الكتب منها المحيط فى اللغة والكافى فى

(٢٦) جمال سرور : الحضارة الاسلامية ص ٢١٩ .

(٢٧) الثعالبى : يتيمة الدهر ج ٣ ص ١٥٩ .

(٢٨) أبو شجاع : ذيل تجارب الأمم ص ١٠ .

(٢٩) الخركاه : جمع خركاوات ، وهى كالببيت تصنع من الخشب على هيئة مخصوصة تغشى بالجوخ ونحوه . البقلى : مصطلحات ص ١١٧ وانظر

Dozy : Suppl. I., P. 366

(٣٠) أبو شجاع : المصدر السابق ص ١١ .

الرسائل وكتاب الامامة الذي يتضمن فضائل على رضى الله عنه ، وصحة
امامة من تقدمه ، وكتاب الوزارة (٣١) .

المكتبات :

كان في كل جامع مكتبة حيث كان من عادة العلماء أن يوقفوا كتبهم
على الجامع ، ويقال أن « خزائن الكتب بمرور كانت تحوى كتب يزدجرد
لأنه حملها اليها وتركها » (٣٢) ، قال ياقوت الحموى الذى زار مرو :
« فارقتها وفيها عشر خزائن للوقف لم أر في الدنيا مثلها كثرة
وجودة » (٣٣) .

وقد عمل القاضى ابن حبان (٣٤) أحد الحفاظ الكبار المصنفين
المجتهدين المتوفى سنة ٩٦٥/٣٥٤م في مدينة نيسابور دارا للعلم وخزانة
كتب ومساكن للغرباء الذين يطلبون العلم ، وأجرى لهم الأرزاق ، ولم
تكن الكتب تعار خارج الخزانة (٣٥) حرصا عليها . كما أنشا أبو على بن
سوار الكاتب أحد رجال حاشية عضد الدولة المتوفى سنة ٩٨٢/٣٧٢م
دار كتب في مدينة رام هرمز (٣٦) ودارا للعلم في الكرخ غربى بغداد ،
ونقل اليها كتب كثيرة اشتراها وجمعها ، وكان بها مائة نسخة من القرآن
الكريم بأيدي أحسن النساخ بالإضافة الى عشرة آلاف وأربعمائة مجلد
أخرى معظمها بخط أصحابها ، أو من الكتب التى كان يملكها رجال
مشهورون ، وجعل أمر رعايتها وحفظها الى رجلين من العلويين يعاونهما
أحد القضاة ، وفتح مكتبه لجميع الطلاب ، وعين لهم ما يحتاجونه
من الكتب وكذلك ما يحتاجونه من دهن الأسرجة (٣٧) .

-
- (٣١) أبو الفدا : المختصر ج ٢ ص ١٣٠ .
(٣٢) الثعالبي : يتيمة الدهر ج ١ ص ٣٢٢ حاشية ٣ ، ومرو هي مرو
الشاهجان وهي مرو العظمى أشهر مدن خراسان وقصبتها .
معجم البلدان ج ٥ ص ١١٣ وما بعدها .
(٣٣) ياقوت . معجم البلدان ج ٥ ص ١١٤ .
(٣٤) محمد بن حبان بن أحمد بن جنان بن معاذ بن معبد أبو حاتم
البستي . ابن كثير . البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٥٩ .
(٣٥) متر : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣٢٩ .
(٣٦) رام هرمز : أى مقصود هرمز بنواحي خورستان . ياقوت :
معجم البلدان ج ٣ ص ١٧ .
(٣٧) متر : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣٢٩ .

... واتخذ الشريفي الرضي نقيب العلويين والشاعر المشهور المتوفى سنة ٤٠٦هـ/١٠١٥م دارا سماها دار العلم ، وفتحها للطلبة الراغبين في التعلم ، وعين لهم جميع ما يحتاجون اليه من دهن السراج ، ولما علم بغياب خازن دار العلم في أحد الايام وحاجة الطلاب الى دهن السراج آنئذ أمر بأن يتخذ الخزانة الدهن مفاتيح بعدد الطلبة ليستعمله كل من يحتاج اليه لذا لزم الأمر (٣٨) .

وكذلك انشا الشريف المرتضى أخو الشريف الرضي دارا بلعلم اسماه دار العلم كذلك ، ووقف قرية من قرأه للمصرف على هذه الدار ، وكانت دار العلم هذه كبيرة الى درجة أنها ضمت ثمانين ألف مجلد قدرت قيمتها بثلاثين ألف دينار (٣٩) .

وأشار ابن سينا الى مكتبة نوح بن منصور سلطان سحاري والتي كانت تجوى حمل أربعمئة ألف حمل (٤٠) .

ولا ينسى في هذا المجال مكتبة سابور بن أردشير وزير بني بويه في الكرخ غربي بغداد ، فقد وقف دارا للعلم في سنة ٣٨١هـ ، وجعل فيها كتباً كثيرة جدا ، وخصص لها الأوقاف للانفاق عليها ، وقد ظلت هذه الدار سبعين سنة حتى أحرقت عند محيء طغرل بك السلجوقي (٤١) ، وكان ممن تولى الاشراف عليها عبد السلام البصري اللعوى المتوفى سنة ٤٠٥هـ (٤٢) .

الطب والأطباء :

حفل عصر البويهيين بالكثير من مشهورى الأطباء منهم هلال بن هارون الصايى الخزانى الذى تميز بمهارته وحدقه لفنون الطب ، حكى عنه أبو الفرج بن أبي الحسن بن سنان قال « كنت عند ابراهيم الحراسى

-
- (٣٨) ممتز : الحضارة الاسلامية ج١ ص ٣٢٩ ، محمد عبد الغنى حس : الشريفي الرضى ص ١٨ .
- (٣٩) محمد عبد الغنى حسن : الشريفي الرضى ص ١٨ .
- (٤٠) انور الجندي : أضواء على الفكر العربى الاسلامى .
- (٤١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ١٩ .
- (٤٢) جورجى زبدان : تاريخ التمدن الاسلامى ص ٢٢٧ .

يوما. في دار أبي محمد المهلبى فتقدم أبو عبد الله بن الحجاج الشاعر الحرانى فأعطاه محسه فقال : « قلت لك غلظ غذاك ، وأظنك أسرفت في ذلك حتى أكلت مضبرة بلحم عجل ، فقال : « كذاك والله كان » . وعجب هو والجماعة منه ، ومد اليه أبو العباس المنجم يده فأخذ محسه ، فقال : أنت يا سيدى أسرفت في التبريد أيضا وأظنك قد أكلت احدى عشرة رمانة ، فقال أبو العباس المنجم : هذه بنوء لا طب « (٤٣) ، وكان هلال يعتنق دين الصائفة ، وعرضت عليه الوزارة ليسلم فأبى (٤٤) .

وفي أيام المطيع ووزارة معز الدولة أحمد بن بويه اشتهر ثابت بن سنان بن قرية ويرع في الطلب حتى صار عالما بأصوله ، وتولى أمر البيمارستان في بغداد بعد ذلك (٤٥) .

ومن الأطباء المشهورين في هذا العصر كذلك ابن بطلان الطبيب النصرانى البغدادى الذى كان طبيبا محترفا يرتزق بصناعة الطب ، والى فيه مؤلفات مشهورة (٤٦) .

وبزى هذا العصر ابن سينا الطبيب الفيلسوف الذى ولد في بخارى سنة ٣٧٠ هـ ، وكان بارعا في الطلب ، وعالج نوح بن منصور ملك الدولة السامانية فأجرى له العطاء (٤٧) ، وكان لهذا الملك مكتبة عظيمة فاستوعب ابن سينا كل ما فيها من الكتب قراءة ودراسة (٤٨) ، وتنقل ابن سينا في البلدان وألف نأليف متنوعة أشهرها كتاب «القانون» الذى حوى أهم ما عرف من أصول الطب وخصائص العقاقير والتشريح وغيرها عند العرب (٤٩) . قال الدكتور روبنسون : انه يحتوى على ما يزيد على مليون كلمة ، وقد عالج القرحة الدرنية والقولنج الكبدى والكلوى والتهاب الرئة والجنب والتهاب الدماغ (٥٠) ، وقد برحم هذا الكتاب في خمس

-
- (٤٣) ابن العبرى : محنصر تاريخ الدول ص ١٧٤ .
 (٤٤) ابن العبرى : نفس المصدر ص ١٧٤ .
 (٤٥) ابن العبرى : نفس المصدر ص ١٧٠ .
 (٤٦) ابن العبرى : نفس المصدر ص ١٩٠ .
 (٤٧) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ٤٣ .
 (٤٨) العدوى : نهر التاريخ الاسلامى ص ٣٦٥ .
 (٤٩) العدوى : نفس المرجع ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .
 (٥٠) انور الحندى : أضواء على الفكر العربى الاسلامى ص ٤٧ .

عشرة طبعه الى اللاتينية والعبرية والاسجليزية (٢٠) . وكان هذا مؤلف
وكذلك الجزء التاسع من موسوعة الرازي أساس المحاضرات التي أقيمت
في جامعات أوروبا حتى لفرى لاسر عشر للملادى

وكان البويهىيون يهتمون بأمر الطب ويسبب البيمارسنان العصدى
ببغداد الى عضد الدولة بن بويه ، وقد كلفه أموالا عظيمة حتى قيل :
« وليس في الدنيا مثل ترتيبه » ، وهرع من بيائه في سنة ٣٦٨ هـ ، وأعد
له من الآلات ما بقصر الشرح عند وصفه وقد رتب فيه الأطباء والخدم ونقل
اليه من الأدوية والأشربة والعقاقير شيئا كثيرا « (٢١) ؛ وظل المارستان
العضدى صدر المارستانات حتى بنى نور الدين محمود مارستانه الكبير
في دمشق في أواسط القرن السادس الهجرى ، ثم بنى صلاح الدين الأيوبي
المارستان العتيق في القاهرة وغيره .

الفلك والتنجيم :

وفي ميدان الفلك والتنجيم اشتهر عبد الرحمن بن عمرو بن سهل
أبو الحسين الصوفى الرازى ، وله مؤلفات كثيرة منها كتاب الصور
السماوية وكتاب مطارح الشعاعات وقد سوفي في سنة ٣٧٦ هـ عن خمس
وثمانين عاما (٢٢) .

ومن المنجمين عبد الله بن الحسن أبو القاسم المعروف بخلام زحل،
وكان من أفاضل الحساب والمنجمين ، وكانت له يد طولى في هذا
الشأن (٢٣) ، وأحمد ابن محمد الصاغاني أبو حامد الذى كان ذا باع
كبيرة في الهندسة ، وعلم الهيئة ، وكان يحكم الآلات الرصدية في بغداد
غاية الأحكام ، ولما بنى شرف الدولة بيت الرصد في طرف بستان دار
المملكة ، وتقدم برصد الكواكب السبعة واعتمد في ذلك على الكوهى ،

-
- (٥١) أنور الجندى : نفس المرجع ص ٤٧ .
(٥٢) فتحية النبراوى : تاريخ النظم والحصارة الاسلامية ص ١٧٢ ،
هل : تاريخ الحضارة ص ١٢٦ .
(٥٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ٥٤ - ٥٥ ، ابن كثير :
البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٩٩ .
(٥٤) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ١٧٤ - ١٧٥ .
(٥٥) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ١٧٦ .

ورصد وكتب مختصرين بصورة الرصد ، وكتب خطه بتصحيح نزول الشمس في برجين^(٥٦) ؛ وكان ويجن كذلك ذا باع كبير في المعرفة بالهندسة وعلم الهيئة وكان رصده لحلول الشمس برجى السرطان والميزان سنة ١٢٩٩م^(٥٧) .

وكان أبو الريحان البيرولى ١٠٤٨/هـ ١١٤٤م ذا مهارة فائقة في علم الفلك ولم يكن له نظير في زمانه^(٥٨) ، ألف القانون المسعودى في انهيئه والنجوم لانه أهدها الى السلطان الغرنوى مسعود بن محمود ، أورد فيه كل المعلومات الخاصة بالفلك ، ويحتوى الكتاب على اثنين وأربعين ومائة باب^(٥٩) ، وله كتاب « الآثار الباقية عن القرون الخالية » وهو دراسة في تقاويم الشعوب القديمة ، ويبحث في غير هذا الكتاب من مؤلفاته نظرية دوران الأرض حول محورها ، ووصل الى تحديد دقيق لخطوط الطول والعرض^(٦٠) ؛ وله كتاب « تحقيق ما للهند من مقولة » ، وفيه وفي البيرولى يقول سحو « أعظم عقلية عرفها التاريخ والغربيون مدينون له بمعلوماتهم عن الهند ومآثرها في العلوم ، وصاغ نظرية دوران الأرض حول محورها وحول الشمس »^(٦١) .

الفلسفة والمنطق :

من فلاسفة هذا العصر على بن العباس المجوسى صاحب كتاب «الملكى» وقد ألف لعهد الدولة هذا. الكتاب الجليل الذى لزم الناس درسه حتى ظهر كتاب «القانون» لابن سينا « فمالوا اليه وتركوا الملكى بعض الترك »^(٦٢) ، قال ابن العبرى : « والملكى فى العمل أبلغ والقانون

(٥٦) ابن العبرى : نفس المصدر ص ١٧٦ .

(٥٧) ابن العبرى : نفس المصدر ص ١٧٦ .

(٥٨) ابن العبرى : نفس المصدر ص ١٧٠ .

(٥٩) العدوى : نهر التاريخ الاسلامى ص ٣٦٧ ، ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٢٢٩ .

(٦٠) العدوى : نهر التاريخ الاسلامى ص ٣٦٧ .

(٦١) أنور الجندى : أضواء على الفكر العربى الاسلامى ص ٤٦ ، نهر

التاريخ الاسلامى ص ٣٦٨ .

(٦٢) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ١٧١ .

في العلم أثبت « (٦٣) ؛ وأبو الفرج عبد الله بن الطيب الذي أطلع على كتب الأرائل وأقاويلهم ، وعنى بشروح الكتب القديمة في المنطق وأنواع الحكمة من تأليف أرسطوطاليس ، توسط القول في الشروح سطاً شافياً قصد به التعليم والتفهيم (٦٤) .

ومن أبرز فلاسفة هذا العصر الشيخ الرئيس ابن سينا الذي احتل مركز المعلم الثالث بعد أرسطو الفارابي ، وألف ابن سينا كثيراً من الكتب في فلسفة أرسطو وأفلاطون والأفلاطونية الحديثة - نسبة إلى أفلاطون - تدل على مدى براعته في صناعة الفلسفة وعلى مدى تطورها على يديه (٦٥) ؛ وخالف ابن سينا أرسطو وأفلاطون وغيرهما من فلاسفة اليونان في كثير من النظريات والآراء ولم يبتقيد بها ، وهو بذلك صاحب تفكير حر مستقل يعرض الآراء على المنطق والعقل ويحكم فيها بخبراته ، وهو القائل : « حسبنا ما كتب من شروح لمذاهب القدماء » ، وقد آن لنا أن نضع فلسفة خاصة بنا « (٦٦) ، وأهم مصنفاته الفلسفية : الشفاء الذي استوعب فيه علوم الفلسفة ، يليه كتاب « النجاة » الذي هو مختصر الشفاء ، والاشارات ، وتسع رسائل في الحكمة (٦٧) ، والقصيدة العينية المشهورة في الروح (٦٨) وغير ذلك .

كما ظهر في حوالى منتصف القرن الرابع الهجرى حماعه اخوان الصفا ، وهى جماعة فلسفية سرية لها ميول باطنية سياسية ، حرصوا على نشرها بين كل من يتوسمون فيه الحير من كل البلاد ، ويرغبونه فى الانضمام اليهم ، وكان اهتمامهم بنصب على الشباب على أساس أنهم أقرب الى الاستجابة لدعوتهم من الشيوخ (٦٩) .

وقد وضع أعضاء هذه الجماعة اثنين وحمسين رساله يعتبر خلاصه

-
- (٦٣) ابن العبري : نفس المصدر ص ٣٧١ .
 (٦٤) ابن العبري : نفس المصدر ص ١٩٠ .
 (٦٥) ماجد : الحضارة الاسلامية ص ٢١٦ .
 (٦٦) أضواء على الفكر العربى الاسلامى .
 (٦٧) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٢ ص ٤٣ ، محد الحضارة الاسلامية ص ٢١٧ .
 (٦٨) العدوى : نهر التاريخ الاسلامى ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .
 (٦٩) جمال سرور : الحضارة الاسلامية ص ٢٢٠ .

أبحاث الفلاسفة المسلمين بعد اطلاعهم على آراء اليونان والفرس والهنود ،
وتعديلها على ما يقتضيه الاسلام ، وقد تأثر بكتابات هذه الجماعة
أبو العلاء المعري وأبو حيان التوحيدي وأبو حامد الغزالي ، وغيرهم
من مفكرى القرنين الرابع والخامس (٧) .

علم اللغة والنحو :

ومن أشهر العلماء في هذا العصر أبو علي الفارسي الذي ولد بمدينة
فسا ، واشتغل ببغداد ، وكان إمام وقته في علم النحو ، وذهب إلى بلاد
فارس . وانتقل بعض الدولة وعلت مكانته لديه حتى قال عضد الدولة :
« أنا غلام أبي علي الفسوي . في النحو » ، وقد وضع له كتاب الايضاح
والتكملة في النحو ، وقال فيه ابن خلكان : « وبالجمله فهو أشهر من
أن يذكر فضله ، ويعدد » (٧٦) ، ومن مؤلفاته كتاب « التذكرة » ، وكتاب
« المقصور والمدود » وكتاب « الحجة والقراءات » وكتاب « الاغفال »
فيما أنقله الرجاسي ، وغيرها (٧٧) .

ومن علماء هذا العصر أبو سعيد السيرافي النحوي ، وله شرح كتاب
سيبويه ، وطبقات النحاة ، وكان أبو سعيد عالماً باللغة والنحو وكان
أعلم الناس بنحو البصريين ، وقد قرأ اللغة على ابن دريد والنحو على
ابن السراج وابن المربان (٧٨) .

ومنهم أبو الحسن النحوي المعروف بالرماني الذي روى عن ابن دريد
وكان ذا يد طويلة في النحو واللغة ، وكان يبيع الرمان فنسب اليه
أو نسب إلى قصر الرمان بواسطه (٧٩) ، ومن أشهر النحاة وأهل اللغة
أبو الفتح عثمان بن حنى الموضئي النحوي صاحب المؤلفات الشهيرة
في النحو واللغة ، وكان حنى عبداً رومياً . ومن أشهر علماء اللغة

(٧٠) العدوي : مبر التاريخ الاسلامي ص ٣٦٦ .
(٧١) ابن خلكان : وفيتات الاعيان ج ٢ ص ٨٢ ، ابن كثير : البداية
والنهاية ج ١١ ص ٣٠٦ .
(٧٢) ابن كثير : نفس المصدر ج ١١ ص ٢٩٤ .
(٧٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ٢٩٤ .
(٧٤) ابن كثير : نفس المصدر ج ١١ ص ٣١٤ .

أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي صاحب المجل في اللغة ، وله رسائل حسان أخذ عنه البديع صاحب المقامات ، ومنهم بديع الزمان الهمذاني صاحب الرسائل الرائعة والمقامات العائقة (٧٠) .

وغير هؤلاء في شتى ميادين المعرفة ، وتذكر في هذا المجال أن هذا البحث اعتمد في معظمه على مؤرخين كبيرين عاشوا في هذا العصر وعاصروا أحداثه وهما مسكويه المنوفي سنة ٤٢٠هـ والذي تناول في كتابه تجارب الأمم الرائع الفترة التاريخية التالية لما أرخه الطبري واهتم بتاريخ الفترة المنكورة من تاريخ حكم البويهيين وحتى سنة ٣٦٩هـ ، أما ثاني هذين المؤرخين فهو أبو شجاع ظهير الدين محمد بن الحسين الروذدلووري وتكابه ذيل تجارب الأمم الفترة من سنة ٣٦٩هـ إلى ٣٨٩هـ ؛ وكانت افادتنا مما أوردها على درجة عالية من الأهمية ومكفى في النهاية أن تلقى نظرة على من توفي في عهد الخليفة القادر بالله فقط (٣٨٦ - ٤٢٢م / ٩٩٢ - ١٠٣١م) لنتبين كيف زخر هذا العهد بالأعلام في كل ألوان المعرفة والثقافة ، قال السيوطي : « ومن منات في أيامه من الأعلام : أبو أحمد العسكري الأديب ، والرماني النحوي ، وأبو الحسن الماسرجسي شيخ الشافعية ، وأبو عبيد الله المرزباني والصاحب ابن عباد - وهو مؤرخ مؤيد الدولة ، وهو أول من سمي بالصاحب من الورراء ، والدارقطني الحافظ المشهور ، وابن شاهين وأبو بكر الأولى امام الشافعية ويوسف بن السيراقي . . . وابن أبي زيد المالكي شيخ المالكية ، وأبو بكر المكي صاحب « قوت القلوب » ، وابن بطيعة الحنبلي وابن سمعون الواعظ والخطابي والحاتمي اللغوي . . . وزاهر المرخسي شيخ الشافعية ، وابن غلبون المقرئ ، . . . وابن جني والجوهري صاحب « الصحاح » ، وابن فارس صاحب « المجل » . . . وبديع الزمان أول من عمل المقامات . . . وأبو حيان التوحيدى ، والوآوء الشاعر ، والهروى صاحب « الغريين » ، وأبو الفتح البستي الشاعر ، . . . والصيمري شيخ الشافعية ، والحاكم صاحب « المستدرک » ، والشيخ أبو حامد الاسفراييني ، وابن فورك ، والشريف الرضى وأبو بكر الرازي صاحب « الألقاب » . . .

(٧٥) ابن كثير : نفس المصدر ج ١١ ص ٣٤٠ ، أبو الفدا : المختصر ج ٢ ص ١٣٥ .

وخلائق آخرون « (٧٦) ، بل ويضم اليهم السيوطى الخليفة القادر بالله نفسه « فانه كان من أعلامهم ، تفقه وصنف « (٧٧) ، وعد الشيخ تقى الدين بن الصلاح الخليفة القادر من الفقهاء الشافعية (٧٨) .

والحق ، أن هذا العصر أكثر من أن يستقصى فيه أسماء علمائه وأدبائه وهو من هذه الناحية على عكس وضعه السياسى كان عصر ازدهار قل أن يوجد له نظير .

(٧٦) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٤١٥ - ٤١٦ .
(٧٧) السيوطى : نفس المصدر ص ٤١٧ .
(٧٨) السيوطى : نفس المصدر ص ٤١٧ .

المصادر والمراجع

اولا : المصادر :

- ١ - بر لاتير (ب ٦٣٠هـ / ١٢٣٨م) عى بن احمد بن كرم
تكملة في التاريخ ج ١٠ ط ١٠ بيروت .
- ٢ - لاصحري (النصف الاول من القرن الرابع الهجرى) و سحو
ابراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى المعروف بالكرحى
المسالك والممالك ، تحقيق : الدكتور محمد حدر عبد العال
الحيثى : القاهرة ٦٣٨١هـ / ١٩٦١م .
- ٣ - ابن بطوطة (القرن ثامن هجرى) محمد بن عبد الله بن محمد
ابن برهيم اللورى . صحى
رحلة ابن بطوطة ص ٢٠٠
- ٤ - الثعالبى (٤٣٩هـ) بن مسعود عيسى . ملك بن محمد بن سماعيل
النعمانى سبورى
بيمه الدهر في محاسن هل العضر . تحقيق محمد
عيسى الدين عبد الحميد ، ط ١ القاهرة ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م .
- ٥ - بن حوقل . أبو القاسم بن حوقل لنصبى
صورة الأرض ط ١ : بيروت ١٩٧٩م .
- ٦ - بن حنبل (ب ٦١٤هـ / ١٢١٧م) ابو الحسن محمد بن حمد .
رحله بن حنبل تحقيق : الدكتور حسن نصار .
- ٧ - بن خلدون . ٨٠٠هـ عيسى . حمد بن محمد
مقدمة ابن خلدون ، ط ١ دار الشعب ، القاهرة .
- ٨ - ابن حليكان (ب ٦٨١هـ / ١٢٧١م) . سمي . بديي . ابو العباس أحمد بن
برهيم بن أبى بكر الشافعى
وفيات الأعيان ، ط ١ بيروت .
- ٩ - الدهسى (٧٠١هـ / ١٣٤٨م) الحافظ شمس الدين
ولن الاثلام ، تحقيق : فهد محمد بن سوب ومحمد مصطفى ،
القاهرة ٩٧٤م .
- عص بن النجوزى .
الزمان ط ١ حيدر اباد .

- ١١ - السيوطى : جلال الدين .
تاريخ الخلفاء ، ط . القاهرة .
- ١٢ - أبو شجاع (٤٨٨هـ / ١٠٩٥م) محمد بن الحسين بن عبد الله بن
ابراهيم الوزير ظهير الدين الروذراورى .
ذيل تجارب الأمم .
- ١٣ - الشهرستانى : أبو محمد محمد بن عبد الكريم الشهرستانى .
الملل والنحل ، ط . بيروت .
- ١٤ - الطبرى (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) أبو جعفر محمد بن جرير .
تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق : أبو الفضل ابراهيم ،
الطبعة الرابعة ١٩٧٩م .
- ١٥ - ابن الطقطقى : محمد بن على بن طباطبا .
الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، ط . بيروت
١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- ١٦ - ابن العبرى (ت ٦٨٥هـ) غريغوريوس الملقى .
تاريخ مختصر الدول ، ط . بيروت .
- ١٧ - العصامى .
سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى ، مخطوط
رقم ٢٥٣ تاريخ بدار الكتب المصرية .
- ١٨ - على بن طاهر (أبو الحسن) (٦٢٣هـ) .
تاريخ الدول المنقطعة ، تصوير شمسى بدار الكتب المصرية
رقم ٨٩٠ تاريخ .
- ١٩ - ابن العماد الحنبلى (١٠٨٩هـ) عبد الحى بن أحمد .
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ط . بيروت ١٣٩٩هـ /
١٩٧٩م .
- ٢٠ - الفارقى : أحمد بن يوسف بن على الأزرق الفارقى ، تحقيق :
الدكتور بدوى عبد اللطيف عوض ، ط . بيروت ١٩٧٤م .

- ٢١ - أبو الفدا (٥٧٣٢/١٣٢٢م) عماد الدين إسماعيل بن محمد بن
عمر المعروف بابن الفدا صاحب حماه .
أ - المختصر في أخبار البشر ، ط . بيروت .
ب - تقويم البلدان ، ط . باريس ١٨٤٠م .
- ٢٢ - ابن كثير (٥٧٧٤/١٣٧٣م) الحافظ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل
القرشي .
البداية والنهاية ، القاهرة ١٣٥١هـ / ١٩٣٣م .
- ٢٣ - مجهول .
العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، ط . أبريل ١٨٦٩م .
- ٢٤ - أبو المحاسن (٥٨٧٤/١٤٦٩م) جمال الدين يوسف بن تعري بردي .
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة : التأليف
والترجمة والنشر .
- ٢٥ - المسعودي (ت ٣٤٦هـ) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي
المسعودي .
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الطبعة الخامسة ١٣٩٣هـ /
١٩٧٣م .
- ٢٦ - مسكويه : أبو علي أحمد .
تجارب الأمم ، ط . ١٣٢٢هـ / ١٩١٤م ، اعتنى بنسخه
وتصحيحه : هـ . ف . آمدروز .
- ٢٧ - الماوردي (ت ٤٥٠هـ) علي بن حبيب البصري البغدادي .
أ - الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ط . ١٤٠٤هـ /
١٩٨٣م .
ب - قوانين الوزارة ، تحقيق : الدكتور مؤاد عبد المنعم
أحمد ، الدكتور محمد سليمان داود .
- ٢٨ - المقرئ (ت ٨٤٥هـ) تقي الدين أحمد بن علي .
أ - السلوك لمعرفة دول الملوك ، التأليف والترجمة
والنشر .
ب - اتعاظ الحنفا في أخبار الأئمة
تحقيق : الدكتور محمد حلمي أحمد .

- ٢٩ - ابن ميسر (٦٨٧هـ) أبو عبد الله محمد بن علي
أخبار مصر ، الجزء الثاني ، ط٠ هـ ١٩١٩ م ،
القاهرة ١٩١٩ م .
- ٣٠ - النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري
نهاية الأرب وفتون الأدب ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م ،
- ٣١ - هبة الله الشيرازي .
مذكرات داعي دعاه الدولة الفاطمية ، تحقيق : الدكتور
عارف تامر ، بيروت ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م .
- ٣٢ - الهمداني : محمد بن عبد الملك
تكملة تاريخ الطبري (. في الجزء الحادي عشر من
مجموعه ، تاريخ الطبري) ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م ،
دار المعارف بمصر .
- ٣٣ - ابن الوردي : الشيخ زين الدين بن عمر .
إ - تتممة المختصر في أخبار البشر ، القاهرة ، ١٢٥٨هـ /
١٨٦٦ م .
ب - فريدة العجائب وخريدة الغرائب ، ط٠ ١٢٧٦هـ .
- ٣٤ - ياقوت : (٦٢٦هـ / ١٢٢٩ م) شهاب الدين أبو عبد الله الحموي
الرومي .
٤ - المشترك وضعاً والمختلف متقناً ، ط٠ جونسن ١٨٩٤ م .
ب - معجم البلدان ، ط٠ بيروت .

ثانيا : المراجع :

- براهيم أحمد العدوى (الدكتور)
١ - حركات السطل ضد الفوميه العربيه ، المكتبة الثقافية
الغدد ٥ ، ١٩٦١م .
ب - نهر التاريخ الاسلامى ، القاهرة . ١٩٨٩م .
- ٢ - حمد مرهبه شريف (الدكتور) بالاشتراك مع الدكتور حسن
معمود .
العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، القاهرة ، ط . ١
١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م
- ٣ - أنور الجندى .
أضواء على الفكر العربى والاسلامى ، العدد ١٤٦ المكتبة
الثقافية ، ١٩٦٤م .
- ٤ - بدوى طبانه . .
الصاحب ابن عباد ، سلسلة أعلام العرب .
- ٥ - البقللى (محمد قندبل) .
النعرى بمصطلحات صبح الاغشنى ، القاهرة ١٩٨٤م .
- ٦ - حسن ابراهيم حسن (الدكتور) .
١ - ناربح الاسلام السياسى والدينى والاجتماعى
والثقافى ، القاهرة ١٩٦٢م .
٢ - الفاطميون فى مصر ، المطبعة الاميرية ، ١٩٣٣م .
٣ - النظم الاسلاميه (بالاشتراك مع الدكتور على
براهيم حسن) ط ١ اولى ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م .
- ٧ - الجريوطلى (على حسنى) الدكتور .
مصر العربيه الاسلاميه ، القاهرة ، مارس ١٩٦٣م .
- ٨ - الخضرى (محمد)
ربح الامم الاسلاميه (الدولة العباسية) ، الطبعة
دمية ١٣٦٤هـ / ١٩٠٥م

- ٩ - عبد المنعم ماجد (الدكتور) .
 - أ - تاريخ الحصار الاسلامى فى العصور الوسطى ، ط٣ ، القاهرة ١٩٧٣ .
 - ب - ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ، القاهرة ١٩٧٧ .
- ١٠ - هلى ابراهيم حسن (الدكتور) .
 - أ - التاريخ الاسلامى العام ، بدون تاريخ .
 - ب - النظم الاسلامىة (بالاشتراك مع الدكتور حسن ابراهيم حسن) .
- ١١ - عصام الدين عبد الرؤوف (الدكتور) .
 - الدولة الاسلامىة المستقلة فى الشرق ، بدون تاريخ .
- ١٢ - فتحية النبراوى (الدكتورة) .
 - تاريخ النظم والحضارة الاسلامىة ، ط٠ ثانية ١٩٨١ م .
- ١٣ - محمد جمال الدين سرور (الدكتور) .
 - أ - تاريخ الحضارة الاسلامىة فى الشرق (من عهد نفوذ الأتراك الى منتصف القرن الخامس الهجرى) ، القاهرة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥ م .
 - ب - سياسة الفاطميين الخارجىة ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣ م .
 - ج - النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والجزيرة ، القاهرة .
- ١٤ - محمد حلمى أحمد (الدكتور) .
 - الخلافة والدولة فى العصر العباسى ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ .
- ١٥ - محمود شاکر .
 - التاريخ الاسلامى (الدولة العباسىة) ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م .
- ١٦ - هل (ى) .
 - الحضارة العربىة ، ترجمة د/ابراهيم أحمد العدوى ، دار الهلال .

١٧ - وفاء محمد على (الدكتور) .

- أ - الزواج السياسى فى عهد الدولة العباسية ١٩٨٩م .
- ب - الخلافة العباسية فى العصر التركى الأول ١٩٨٤م .
- ج - صفحات من تاريخ العباسيين ١٩٨٩م .

المراجع الاجنبية

- 1 — AMIR AIL, (*SAYED)
A Short History of The Saracenes
(London 1981)
- 2 — ARNOLD (T)
The Caliphate. (Oxford 1924)
- 3 — BROKLMAN (CARL)
History of Islamic People
London (1959)
- 4 — BROWNE (EDWARD)
Aliterary History of Persia
- 5 — Dozy; Supplément aux Dictionnaires
Arabes 2. ed. Lyden 1881
- 6 — ENCY - DE L'ISL
- 7 — ENCY CLOPEDIA OF ISLAM
LYDEN
- 8 — HASSAN IBRAHIM,
A History and Islamic Culture
(Without Date)
- 9 — LE STRANGE, LANDS OF THE EATERN CALIPHAT
(Cambridge 1930)
- 10 — SHABAN (H. A).
Islamic History Vol 2 (Combridge 1986)
- 11 — SAUNDERS, J. J.
History of Medieral Islam
(London 1972)

فهرس المحتويات

كشف المصنوعات

الموضوع	الصفحة
بين يدي الكتاب	٥ - ٧

الفصل الاول

٩ - ٣٧	بنو بويه من بلاد الديلم الى العراق
١٦	بداية البويهيين
١٧	تطور قوة البويهيين
٣٠	الاستيلاء على الاهواز
٣٢	أحوال العراق لدى دخول البويهيين

الفصل الثاني

٣٩ - ٦٠	سيطرة بنى بويه على الخلفاء العباسيين
٤٢	عهد الخليفة المستكفي (٣٦٤ - ٤٦٢ هـ)
٤٥	عهد الخليفة المطيع (٣٦٤ - ٣٦٣ هـ)
٥٠	عهد الخليفة الطائع (٣٦٣ - ٣٨١ هـ)
٥٣	عهد الخليفة القادر (٣٨١ - ٤٢٢ هـ)
٥٣	عهد الخليفة القائم (٤٢٢ - ٤٤٧ هـ)
٥٤	السيادة الدينية والسياسية لبنى بويه

الفصل الثالث

٦١ - ٨٠	محاولة السيطرة الذهبية على الدولة
٦٣	نشأة البويهيين الشيعة
٦٤	محاولة نقل الخلافة الى الفاطميين
٦٦	أحياء المناسبات الدينية الشيعية
٦٨	الصمات المسلحة بين السنة والشيعة
٧٠	الفتن بين السنة والشيعة بعد معز الدولة
٧١	تدخل الخليفة
٧٣	البويهيون والفاطميون والقادر

الموضوع	الصفحة
الفصل الرابع	
« السيطرة على الوزارة في العهد البويهي »	٨١ - ١٠٢
استخدام وزيرين	٨٤
ورر - لسويهين	٨٦
نهايات الورراء	٩٩
الفصل الخامس	
« بلاد الخلافة مسرح للأحداث الدائمة »	١٠٣ - ١٣٤
تطور الأحداث بعد وفاة معر الدولة في وجود	
ركن المؤلة	١٠٣-١٠٤
الخلافت البويهية بعد وفاة ركن الدولة	١١٠
المرحلة الأولى	٣
المرحلة الثانية	١١٥
المرحلة الثالثة	١١٦
الملك الرحيم وبهاية الدولة	١٢٢
الفصل السادس	
صور ديجبريه	
« الحياة العلمية في عصر بني بويه. »	١٢٥ - ١٠١
الشعر والشعراء	١٢٨
المكتبات	١٣٣
الطب والأطباء	١٣٤

الموضوع	الصفحة
الفلسفة والمنطق	١٣٧
علم اللغة والنحو	١٣٩
المصادر والمراجع	١٤٣ - ١٥٢
المحتويات	١٥٣ - ١٥٧

تم بحمد الله

To: www.al-mostafa.com